

❁ إشكالية الإصلاح في كتاب

"ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟"

بدر الباحثة خيرة محمدي بوزينة

k.m.bouzina@gmail.com

طالبة دكتوراه بكلية العلوم الإسلامية - جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة

ص. 199 - 240

ملخص:

يعد المفكر أبو الحسن علي الحسيني الندوي من رواد القضية الفكرية الإصلاحية، ومن أهم مؤلفاته كتاب "ماذا خسر العالم من انحطاط المسلمين" والذي تضمن طرحا جريئا من منظور إسلامي لواقع العالم وانحطاطه الروحي والأخلاقي، وقد عالج البحث إشكالية الإصلاح من خلال هذا الكتاب، وتطلع إلى معرفة إجابة الندوي عليها موضوعا ومنهجيا؛ وذلك من خلال مبحثين: تناول الأول التعريف بالمفكر، وقدم الثاني عرضا وتحليلا لأفكاره الإصلاحية. وخلص البحث إلى أن خسارة العالم للجانب الروحي الإيماني سببه ضعف العالم الإسلامي والعربي خصوصا، وحمله مسؤولية الإشراف على عملية الإصلاح.

الكلمات المفتاحية: الندوي، كتاب "ماذا خسر العالم من انحطاط المسلمين، الانحطاط الروحي والأخلاقي.

Summary:

The research dealt with the topic of protecting the Islamic law of the environment by paying potential damages in application of the precautionary principle, which is one of the origins of Islamic jurisprudence, under which principles including blocking pretexts - which, although not all jurists said when rooting - but they said it when detailing, which fall under it Rules of damage and corruption in some of its forms.

The subject was dealt with through four investigations:



The first: the importance of the right to a healthy environment, the second: the principle of precaution in Islamic law, the third: the obligation to pay environmental damage, and the fourth: precaution for the environment from the aspect of existence.

The research concluded that the principle of precaution has roots in Islamic law, which is unique to many construction systems.

Keywords: environmental protection, precautionary principle, Islamic jurisprudence.

مقدمة:

اختلفت الآراء المتعلقة بالحلول لمشكلات الفكر الإسلامي، بقدر ما مثلت تنوعاً شمل مختلف جوانب القضية الفكرية والإصلاحية، وشكّل عنصر غنى وحيوية فيها، وكان لكل حركة منها رائداً، ومن بين هؤلاء المفكرين: أبو الحسن علي الحسيني الندوي. اهتم الندوي بالعديد من المجالات وعالج الكثير من القضايا والمسائل، وتعدّ مؤلفاته التي تقارب السبعمائة عنوان خير دليل على إنتاجه الفكري الواسع في الإصلاح سواء من حيث التاريخ والمصلحين والماهية أو من حيث ميادين الإصلاح وطرائقه؛ ومن أهم مؤلفاته: "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟" الذي تضمن طرحاً جديداً وجريئاً من منظور إسلامي تناول واقع العالم وانحطاطه، وحمل المسلمين مسؤولية الانهيار الروحي والأخلاقي في العالم لتفريطهم في أداء رسالة الإصلاح المكلفين بها، سواء في حق أنفسهم أو في حق الآخرين.

ولهذا جاءت فكرة هذا البحث لمعالجة إشكالية الإصلاح من خلال كتاب "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟" والتطلع إلى معرفة إجابة الندوي عليها موضوعاً ومنهجاً؛ خاصة وأن أفكار الندوي الإصلاحية لم تحض لحد الآن بدراسة عميقة ومفصلة.



بالإضافة إلى ذلك فقد تلقى علماء الأمة هذا المصلح والداعية بالقبول، لجمعه الكثير من المزايا، وعلى رأسها سعيه لتجميع الأمة بدل الوقوف على ما يفرقها، فهو يتخذ من شعار مجلة المنار شعارا له "نتعاون فيما اتفقنا فيه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه"، ونحن حاليا في أمس الحاجة إلى أن نجتمع في ظل أصول ديننا، وعدم التفرق بسبب اختلافنا حول فروعه، وهذا من أبرز ما يعانيه المجتمع المسلم عموما بما فيه المجتمع الجزائري، ويصرفه بالتالي عن لب الأزمة الحقيقية.

خطة البحث:

تحتوي خطة البحث بمبحثين اثنين:

يتناول الأول التعريف بأبي الحسن الندوي وبكتابه، ولذلك خُصّص مطلبين: الأول للتعريف بالندوي، والمطلب الثاني للتعريف بكتابه: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ المبحث الثاني عرض وتحليل أفكار أبي الحسن الندوي من خلال كتابه، وذلك من خلال مطلبين اثنين، أحدهما يتعرض لدراسة أفكار الندوي من خلال كتابه، والمطلب الثاني يعالج مناقشة أفكار الندوي، مع إضافة مطلب أخير لعرض الاستنتاج المتوصل إليه.



المبحث الأول: التعريف بأبي الحسن الندوي وكتابته:

المطلب الأول: التعريف بالندوي:

1. المولد والنشأة والوفاة:

ولد أبو الحسن الندوي في 6 محرم من العام 1333هـ الموافق لـ 1914م بقرية "تكية" بمديرية "راي بريلي" في الولاية الشمالية "أترابرديش" بالهند⁽¹⁾، وسمي عليا وكنيته أبو الحسن تيمنا بجده الإمام علي رضي الله عنه⁽²⁾، أما نسب⁽³⁾ الندوي، فينتهي إلى محمد بن عبد الله الحسن المثنى بن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ولذلك اشتهرت الأسرة بالحسنية⁽⁴⁾ واشتهر بالندوي⁽⁵⁾ نسبة لندوة العلماء التي نسب إليها كل من التحق بها. نشأ أبو الحسن الندوي في أسرة من أصل عربي، أشد ما ميّزها تمسكها بالشريعة الإسلامية والعمل من أجل خدمة الدين الإسلامي، لقد عاش بداية طفولته⁽⁶⁾ ⁽⁷⁾ بمسقط رأسه قرية "تكية"، ثم انتقل بعد ذلك إلى مدينة لكهنؤ⁽⁸⁾ مع والده بسبب الأوضاع الاقتصادية، حيث عمل والده هناك بمهنة الطب⁽⁹⁾.

¹ الغوري عبد الماجد، أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية الأديب، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط 2، ص 30. ومحمد طارق وزير الندوي، الشيخ أبو الحسن الندوي موجز عن حياته وأهم مؤلفاته، مجلة الأدب الإسلامي، ع. 26 و 27، 1421هـ، ص 8.

² تركي عبد مجيد السلماني، الفكر والسلوك السياسي عند أبي الحسن الندوي، دمشق، دار القلم، 2004م، ص 34.

³ ولانتساب أبي الحسن الندوي إلى آل البيت أثر في بروز بعض جوانب الفكر السياسي عنده" انظر: تركي عبد مجيد السلماني، الفكر والسلوك السياسي، مرجع سابق، ص 21.

⁴ القرضاوي يوسف، الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته، دمشق، دار القلم، 2001/1422م مرجع سابق، ص 32.

⁵ يقول الشيخ علي الطنطاوي: "وكنيت أحسب أن "الندوي" لقب أسرة يجمع بين أفرادها النسب، وكنيت أسأل ما قرابة السيد سلمان الندوي... والسيد مسعود الندوي محرر مجلة "الضياء"... والسيد أبي الحسن؟" "إنما يجمع بينهم العلم والأدب، وهذا المعهد الذي ينتسبون إليه" انظر: يحدوثونك عن أبي الحسن الندوي، بقلم علماء العصر وأديبائه، إعداد وتقديم: د. محسن العثماني الندوي، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 2000م، ص 42.

⁶ يقول الشيخ علي الطنطاوي: "وكان مما قرأت عن المكان الذي نشأ فيه الندوي أنه بني على طراز الكعبة بطولها وعرضها، إلا أنه نقص من ارتفاعها عدة أنامل تأديبا معها واحتراما لها، وسقيت قواعده بماء زمزم... وكان هذا البناء مسجدا ورباطا، مدرسة ومركز دعوة إلى الله، ودار تدريب على الجهاد". انظر: يحدوثونك عن أبي الحسن الندوي، بقلم علماء العصر وأديبائه، إعداد وتقديم: د. محسن العثماني الندوي، مرجع سابق، ص 41.

⁷ "كان الأستاذ أبو الحسن يمارس ألوانا من الألعاب الرياضية، كرة القدم والسباحة، والصيد، والهوكي والتنس ثم انقطع عنها أخيرا". انظر: تقديم أحمد الشريافي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ ص 54. الكتاب محل البحث في المبحث الثاني من الفصل الثالث.

⁸ Lucknow الموقع الرسمي لندوة العلماء بالهند، في وثيقة رسمية من ندوة العلماء بالهند كتبت لكهنؤ (شوهدت الوثيقة التابعة للدكتور مولود خلف الله، 2008/11/2، الذي كان في زيارة لكهنؤ قبل بضعة أيام من اللقاء).

⁹ تركي عبد مجيد السلماني، الفكر والسلوك السياسي عند أبي الحسن الندوي، مرجع سابق، ص 35. يتصرف.



توفي عنه والده وهو في التاسعة من عمره، "فتولت والدته الجليلة المسؤولة الأولى عن مراقبته وتقدمه الدراسي وتربيته الدينية" ⁽¹⁰⁾ وهي "خير النساء بنت ضياء النبي الحسيني" ⁽¹¹⁾، ومما عرف عنها أنها كانت صارمة جدا في أمرين اثنين: الصلاة، فقد كانت ترسله إلى المسجد في كل الأوقات، وتأمره بتلاوة القرآن الكريم يوميا، أما الأمر الثاني فقد كانت تصده عن السلوك العدواني وعن ظلم غيره ⁽¹²⁾؛ ويرجع أبو الحسن الندوي في كتابه "مسيرة الحياة" حب الناس له لدعاء وابتهاالات أمه ⁽¹³⁾ الكثيرة.

ثم تولى أخوه الأكبر ⁽¹⁴⁾ السيد عبد العلي الحسيني تربيته والإشراف عليه، الذي حل محل والده بحسن تربيته وحكمة توجيهه، وقد كان "يلتزم في تربية أبي الحسن، بأمرين اثنين التزاما شديدا: الأول: هل يصلي الصلوات مع الجماعة أم لا؟ الثاني: أن لا يجالس المستخدمين وحاشية السرايا، ولا يخالطهم، وأن لا يتناول كتاب رواية أو مسرحية من أحد أو يقرأه، بل كان يختار له الجيد النافع من الكتب من مكتبته الشخصية ويأمره بمطالعتها" ⁽¹⁵⁾.

لقد عاش أبو الحسن الندوي نحو ستة وثمانين عاما متمتعا بصحته إلى غاية عام 1419هـ (ذي الحجة) بدأت صحته تتدهور... وتوفي أبو الحسن الندوي -رحمه الله- صباح يوم الجمعة 23 رمضان سنة 1420هـ ⁽¹⁶⁾ الموافق 1999/12/31م. ⁽¹⁷⁾

¹⁰ الغوري عبد الماجد، أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية الأديب، مرجع سابق، ص 31، بتصرف. وعلل ما قاله بعدم وجود الرجال في البيت، لأن أخاه الأكبر كان ذاك الوقت طالبا في كلية الطب، يسكن في مدينة لكهنؤ.

¹¹ ولدت عام 1295هـ وتوفيت 1388هـ.

¹² الأزهري عبد السلام سعيد، الإمام أبو الحسن الندوي ومنهجه في الفكر والدعوة والإصلاح، دار الفكر، دمشق، 2007م، ص 31-32.

¹³ الندوي محمد أكرم، أبو الحسن الندوي العالم المربي والداعية الحكيم، دار القلم، دمشق، 1427هـ/2006م، ص 55 بتصرف.

¹⁴ الغوري عبد الماجد، أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية الأديب، مرجع سابق، ص 28-29 بتصرف.

¹⁵ المرجع نفسه، ص 31 - 32.

¹⁶ هي سنة رحيل العلماء كالعامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، والشيخ علي الطنطاوي، ومن بعد الفقيه الكبير مصطفى الزرقا، والحدث الكبير الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. انظر: الأزهري عبد السلام سعيد، الإمام أبو الحسن الندوي ومنهجه في الفكر والدعوة والإصلاح، دمشق، دار الفكر، 2007م، ص 40.

¹⁷ الغوري عبد الماجد، أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية الأديب، مرجع سابق، ص 202، بتصرف.



لقد كانت فاجعة الأمة الإسلامية جمعاء كبيرة بفقدانه، "واهتز العالم الإسلامي لموته، وضلّي عليه في الحرمين الشريفين صلاة الغائب ليلة السابع والعشرين..."⁽¹⁸⁾؛ وكتبت عنه العديد من الصحف والمجلات⁽¹⁹⁾ في الهند وخارجها، ومنها ما خصصت له أعدادا بأكملها⁽²⁰⁾.

2. الصفات الخلقية والخلقية:

كان أبو الحسن الندوي نحيف البدن ونحيل العود، نقي اللون، وقورا مهيبا في غير عبوس طلق الوجه دائم البشر، نظراته عميقة نفاذة، ونبراته دقيقة أخاذة، فيها بحة.⁽²¹⁾ يقول عنه الدكتور يوسف القرضاوي⁽²²⁾: "لقد كان قرآني الأخلاق، محمدي السلوك حسني السيرة، رباني الغاية، إسلامي المنهج والفكر والهو، فقد كان هواه وشعوره وعواطفه وميوله تبعا لما جاء به محمد ﷺ".⁽²³⁾

أكثر ما عرف عن الندوي التواضع، يقول عن نفسه في كتابه "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟" في سياق حديثه "وإنني كمؤلف حقير..."⁽²⁴⁾، والجرأة في الدعوة إلى الإصلاح، والزهد فلا يقيم للمظاهر وزنا، وكراهية التكلف والمجاملة الزائدة، والفصاحة، والبلاغة والتمكن من اللغة العربية، ويغلب على أسلوبه الجانب العاطفي الملتهب، والاجتهاد في العبادة؛ يقول عنه الدكتور وهبة الزحيلي⁽²⁵⁾، أنه تميز بالتواضع وسعة الأفق والأخلاق العالية، ويعتبره نموذجا للسلف الصالح.⁽²⁶⁾

¹⁸ أبو الحسن الندوي العالم المربي و الداعية الحكيم، د. محمد أكرم الندوي، دمشق، دار القلم، مرجع سابق، ص 202.

¹⁹ مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت، س. 15، ع. 40 - ذو القعدة 1420هـ/مارس 2000م.

²⁰ مجلة الداعي، تصدر عن الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند، الهند، عدد ممتاز عن سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي ذو القعدة-ذو الحجة 1420هـ. بالإضافة إلى مجلة الأدب الإسلامي، مجلة فصلية تصدر عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية، المملكة العربية السعودية، ع. 26-27،

مج. 7، 1421هـ، عدد توثيقي خاص عن: سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي.

²¹ الندوي أبو الحسن، السيرة النبوية، تحقيق وتعليق سيد عبد الماجد الغوري، دمشق، دار ابن كثير، ط3، ص 35. بتصرف

²² ولد عام 1926 في مصر، اشتغل بالدعوة منذ فجر شبابه، وشارك في الحركة الإسلامية، جاوزت مؤلفاته الثمانين، مشارك في العديد من المجمع والمؤسسات المختلفة انظر: الموقع الرسمي للقرضاوي .

²³ القرضاوي يوسف، الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته، مرجع سابق، ص: 60 .

²⁴ ص. 59.

²⁵ أستاذ سوري متخصص في الفقه الإسلامي وأصوله، تقلد العديد من المناصب.

²⁶ في حديث معه في معرض الكتاب الدولي الثالث عشر، الأربعاء 1 ذو القعدة 1429 / 29 أكتوبر 2008 ، بجناح دار الفكر سوريا، نادي الصنوبر، الجزائر العاصمة.

3- السيرة العلمية:

تنوعت مرجعيات المناهل التعليمية للندوي فشملت البيت والعلماء والدراسة النظامية (الجامعة وندوة العلماء) والمجهود الذاتي من خلال المطالعات، أما العلوم التي درسها من خلال هذه المرجعيات فهي القرآن الكريم وعلومه والحديث الشريف والسيرة النبوية والفقه والفلسفة والمنطق واللغات: الأردية والفارسية والعربية والإنجليزية التي عكف على دراستها حتى تمكن من قراءة الكتب المؤلفة بها⁽²⁷⁾، ويعترف الندوي بأن هذه الدراسة أنارت له أعماله الدعوية والفكرية،⁽²⁸⁾ وقد كان كثير التطلع لتعلم الإنجليزية وآدابها آنذاك، وبذل من أجل ذلك ما في وسعه، ولكن أمه منعتة من متابعة تعلمها خشية انصرافه عن دراسة العلوم الشرعية واللغة العربية⁽²⁹⁾.

بدأت مطالعات الندوي منذ أن كان طفلاً، كَوّن له بالبيت مكتبة خاصة وقد كان في الخامسة أو السادسة من العمر، وضع فيها كل الكتب والمجالات وفهارس الكتب للمكتبات التجارية التي كان يستغني عنها والده⁽³⁰⁾؛ قرأ كتباً بالأردية، وباللغة العربية وخارج نطاق العلوم الشرعية والأدب، كما أنه قرأ أيضاً كتباً أجنبية غربية ساعدته في "فهم الخلفيات والعناصر التكوينية للحضارة الغربية، وأنظمتها للحياة والانسان"⁽³¹⁾ وهي⁽³²⁾:

"الصراع بين الدين والعلم"، (Conflict Between Religion And Science)

و"تاريخ أخلاق أوروبا" (history of european morals)، و"سقوط الامبراطورية

الرومانية وانحلالها" (The decline And Fall of Roman Empire)،

²⁷ محمد طارق والندوي زبير، مقال الشيخ أبو الحسن الندوي... موجز عن حياته، وأهم مؤلفاته، مجلة الأدب الإسلامي، مرجع سابق، ص 8.

²⁸ عبد السلام سعيد الأزهرى، الإمام أبو الحسن الندوي ومنهجه في الفكر والدعوة والإصلاح، مرجع سابق، ص 37.

²⁹ الغوري عبد الماجد، أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية الأديب، مرجع سابق، ص 32-38، بتصرف.

³⁰ أبو الحسن الندوي، في مسيرة الحياة، ج1، دمشق، دار القلم، 1990م، ص57، بتصرف.

³¹ المرجع نفسه، ص 157.

³² يذكر محمد أكرم الندوي في كتابه أبو الحسن الندوي العالم المرئي والداعية الحكيم، مرجع سابق، أن هذه الكتب مترجمة، ص 71.



و"تاريخ الفلسفة الجديدة"⁽³³⁾⁽³⁴⁾، كما أنه قرأ في تلك الفترة:

"الإسلام على مفترق الطرق" (Islam at the crossroads)

وقد تأثر عقلا وفكرا بأسلوب كاتبه الوثائق القوي الهجوم، وتشريحه للحضارة الغربية، وبيانه للتعارض بينها وبين الحضارة الإسلامية⁽³⁵⁾. و"الصراع بين الشرق والغرب في تركيا"⁽³⁶⁾، و"البحث عن الحق"، و"قصتي"، و"مستقبل المسلمين الزاهر"⁽³⁷⁾.

استفاد الندوي أيضا من مجالات مثل المنار والمقتطف والزهراء والمجمع العلمي العربي والفتح والعرفان، واستفاد من كتب المعاصرين من الدعاة والمفكرين العرب⁽³⁸⁾. وقد وصف دراسته في تلك المرحلة قائلا: "كنت متصلا بركب الثقافة الإسلامية في الشرق العربي، أحرص على أن أسايره، ولا أتخلف عنه، وكنت نهما لكل ما تنشره المطابع، وتصدره المكتبات في مصر من غث وسمين"⁽³⁹⁾.

الملاحظ أن الندوي كانت مطالعته وقراءاته مبرّكة وغنية كمّا ونوعا، يولي لكل منها اهتماما دون إغفال اتخاذ موقف منها والحكم عليها، والدليل على ذلك تقييمه لبعضها بالغث والبعض الآخر بالسمين، وهذا الاهتمام يعكس سعة فكره الإصلاحية الذي يسعى الندوي إلى إثرائه وتوسيع دائرته، كما أن نوعية وعدد قراءاته تعكس تواضعه العلمي.

³³ هذه الكتب للمؤلفين التالية أسماءهم، وهم على التوالي: درير، وليكي، وجيبون، وهوفدنك.

³⁴ الندوي أبو الحسن، في مسيرة الحياة، ج1، مرجع سابق، ص 157.

³⁵ المرجع نفسه، ص 157.

³⁶ الذي يقول عنه الندوي أنه لا يوافق على كل ما جاء فيه، ولكنه فهم من خلاله طبيعة تركيا وتاريخ نشوئها وارتقائها، واستعان به في التحليل العلمي والتاريخي للوقائع والحوادث، انظر: المرجع نفسه، ص 157.

³⁷ هذه المؤلفات للكتاب الآتية أسماءهم على التوالي: المهدي الفاضل محمد أسد، وخالدة أديب خانم، وغاندي، وجواهر لال نهرو، والأستاذ طفيل أحمد.

³⁸ الندوي محمد أكرم، أبو الحسن الندوي العالم المربي والداعية الحكيم، مرجع سابق، ص 72.

³⁹ يضيف الندوي قائلا: "فقرأت للدكتور طه حسين، الأستاذ العقاد، والدكتور أحمد أمين، والدكتور محمد حسين هيكل، والأستاذ أحمد حسن الزيات، وقبلهم قرأت للمنفلوطي والرافعي، وكنت ملتزما بمطالعة (الرسالة) و(الثقافة) الأسبوعيتين، وهما مدرستان أدبيتان مختلفتان في الأسلوب والمنهج". انظر: الندوي أبو الحسن، شخصيات وكتب، مرجع سابق، ص 130-131.



المطلب الثاني: التعريف بكتاب الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟

✓ الكتاب محل البحث، نسخة صادرة عن دار ابن كثير (دمشق - سوريا، بيروت - لبنان)، 1429هـ/2008م، وهو مدرج ضمن مواضيع التاريخ والفكر الإسلامي، قام بتحقيقه سيد عبد الماجد الغوري، عدد صفحاته 440 بقياس: 24 × 17، نوع تجليده: فني، مع صورة ملونة على الغلاف، وزنه: 804 غرام، التنفيذ الطباعي: مطابع المستقبل، التجليد: مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد، ط.5، وتعتبر أول طبعة محققة وشاملة بجميع إضافات العلامة المؤلف الأخيرة، وهي الطبعة الثالثة عشر القانونية.⁽⁴⁰⁾

✓ يتألف كتاب "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟" من خمسة أبواب، الباب الأول عنوانه: "العصر الجاهلي" ويضم فصلين اثنين، وقد فصل فيه الندوي حول الأديان والأمم ومختلف مظاهر انحطاطها مع استثناء العرب من بين الأمم في تميزهم ببعض الأخلاق؛ مركزاً على مناقشة وعرض الجانب الإيماني والأخلاقي والآثار الاجتماعية لذلك، وكان تناوله لموضوع المرأة واضحاً.

الباب الثاني: "من الجاهلية إلى الإسلام" يضم أربعة فصول، يتناول طبيعة الإصلاح النبوي المؤهل دون سواه من الإصلاحات لإحداث التغيير ذي الطابع النفسي العميق المناسب للجاهلية المشار إليها في الباب السابق؛ ويوضح الكاتب المراحل التي مر بها الإصلاح حتى تحققت نتائجه وتحقق التحول الروحي للمسلمين بعد فهمهم العميق لأركان الإيمان وترجمة ذلك بالانقياد التام للدين فقط، فانتقلوا بذلك إلى الحياة بعد حالة شبيهة بالموت.

⁴⁰ الندوي أبو الحسن، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ مرجع سابق، ص 29.



الباب الثالث: "العصر الإسلامي" يتألف من ثلاثة فصول ويتناول الحديث عن خصائص القادة المسلمين معتبرا صحابة الرسول ﷺ المثل الأعلى لهم الذين تحققت بهم المدنية الصالحة، كما يجري مقارنة بين المسيحية والإسلام في تصور الحياة وتأثيره على ما سواه، لتبدأ بعد ذلك أول إشارات الندوي لبداية انحطاط المسلمين، التي يحددها بنهاية الخلافة الراشدة مسجلا أهم ميزاتهما وهي الجهاد الذاتي والمتعدي، والاجتهاد ووصفهما بعاملي القوة الحقيقية؛ ثم يقوم الندوي بالمقابل بعرض سلبات الخلافة الأموية والعباسية المتمثلة في إغفال عنصر التوحيد والنماء العلمي، مع إشارة إلى اتصال سلسلة الإصلاح، محددًا مرة أخرى انحطاط ثانٍ للمسلمين على يد التتار، ثم قيامهم من جديد بفضل الدولة العثمانية. أخيرا يتحدث الندوي عن سقوط الإمبراطورية العثمانية مشيرا إلى الضعف العلمي والحربي، والجمود الذي شهدته المدارس الإسلامية. يتحدث الكاتب في الأخير عن نخوض أوروبا واستعمالها لكل ما أوتيت من وسائل لاقتحام مختلف مجالات العلوم، مقارنة الأمر بالمحاولات العثمانية للإصلاح التي وصفها بالضعيفة والتي لا يمكن مقارنتها مع الانجازات الأوروبية.

يقرن في الأخير الندوي حديثه عن زوال الدولة العثمانية بقيام دولة إسرائيل كانتصار للصليبية الأوروبية اليهودية العالمية.

الباب الرابع المعنون: "العصر الأوروبي" يضم أربعة فصول، يتناول الكاتب فيه تحليل بداية طبيعة الحضارة الغربية المادية وتاريخها، ثم يتعرض للقومية والوطنية مع مقارنة مع الحل الإسلامي لمعضلة الحرب، وهذا ما يشير إليه بـ "حكم الجباية وحكم الهداية"، مركزا على مادية أوروبا التي وصفها بحقيقة ديانة أوروبا، التي لا تفرق بين الوسائط والغايات وذلك بسبب غياب الأخلاق والمجتمع بالرغم من التطور العلمي، حتى أصبحت مقاييسها الميكانيكية والوطنية والقومية، ثم يشير الندوي إلى انتقال هذه الأخيرة إلى المسلمين مناقشا أسباب ذلك؛ وفي إطار الحديث عن سلبات القومية يقارن الكاتب بينها وبين روح الحكومة الإسلامية: "الهداية" سواء من ناحية المبدأ أو الغاية أو المنهج. يصل الكاتب في الأخير للإشارة إلى انتحار أوروبا بسبب فقدان الغاية من العمل والإنتاج على سعته، ويذكر مظاهر هذا الانتحار وآثاره على الإنسانية جمعاء، مبررا الندوي تطرقه لهذا الموضوع بحاجة الأوروبيين للدين الإسلامي.



الباب الخامس المعنون: "قيادة الإسلام للعالم" يضم فصلين، يتناول الندوي مؤهلات نخبة المسلمين مع الإشارة إلى سلباتهم ونقائصهم، كحل وحيد للأزمة العالمية، لأن القضية رسالية بيد المسلمين، مؤكداً على العامل الروحي ثم الصناعي والحربي والعلمي.

ركز الكاتب من جانب آخر على زعامة العالم العربي بسبب الخصوصية العربية للرسالة الإسلامية، مبينا العوامل الباعثة على البناء والقيادة: الإيمان والتضحية الشبانية والزهد والمساواة والوعي والقوة العسكرية وعدم التبعية.

يولي اهتماما كبيرا للإستعداد الروحي والعاطفة الدينية مع التأكيد على تنوع الوسائل الدعوية والإصلاحية كالتأليف والكتابة والتجوال مشيرا إلى دور المجتمع المدني الإصلاحي.

✓ ظروف تأليف الكتاب، وتقديمه تتجلى من خلال الجزء المعنون له بـ "قصة كتاب يحكيها مؤلفه"⁽⁴¹⁾ ممضاة بتاريخ 20 رجب 1401هـ / 25 ماي 1981م، وقد أورد فيها الندوي قصته مع هذا الكتاب، فيقول: "هذا الكتاب كان باكورة مؤلفاتي، وكان بداية تاريخ التأليف"⁽⁴²⁾، وقد ألفت هذا الكتاب وأنا قد تجاوزت الثلاثين من عمري تقريبا،"⁽⁴³⁾ ويورد الندوي الظروف النفسية والفكرية التي صاحبت تأليف هذا الكتاب فيذكر ما يمكن جمعه تحت العناوين التالية⁽⁴⁴⁾:

1. دافع الكتابة: يربط الندوي سبب تأليف الكتاب بعامل نفسي قوي وشعور بضرورة كتابته لدرجة إحساسه بأنه ما كان مخيرا بل كان مسيرا، واعتبر دافع الكتابة عبارة عن شعور برغبة قوية ملحة ولم يكن الاختيار عقليا؛ وهذا ما يعكس بوضوح القوة العاطفية الدينية المشبعة بالإيمان الصادق، وبالوعي الديني الشمولي الملم بالأدوات العلمية الممكنة للندوي.

⁴¹ الندوي أبو الحسن، ماذا خسر العالم باخطا المسلمين؟، الكتاب محل الدراسة، من ص 21 إلى ص 29.
نقل د. يوسف القرضاوي حديث الندوي هذا عن كتابه محل الدراسة في كتاب: "الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته"، مرجع سابق، من ص 159 إلى 167.



2. **مؤهلات الكتابة:** يصف الندوي تأليفه للكتاب بالمعركة العلمية العقلية، وهذا بسبب الأساليب العلمية المتبعة في التحليل والمعالجة، ويذكر مؤهلاته من إلمام بتاريخ أوروبا بالإضافة إلى التاريخ الإسلامي، وتكوينه العقلي والنفسي الممتاز بالقيادة المحمدية وبنقص الحضارة الغربية وهذا يعكس وعيه بالظروف السياسية والفكرية سواء للدولة الإسلامية المنهارة أو للدول الغربية المستعمرة؛ هذا الوصف من الندوي لمؤهلاته يعكس قوة الثقة العلمية في اختيار موضوع كتابه والبحث فيه، كما يعكس قناعاته بقيمة كتابه على صعوبة موضوعه.

3. **صعوبات الكتابة:** يشير الندوي إلى شعوره بصعوبة موضوع الكتاب حيث كان يرى البحث فيه مغامرة علمية، يقول: "وكان من الجسارة أن أتناول هذا الموضوع الذي لم أكن متهيئا ولا مرشحا له، وكان من الجسارة أن أتناول هذا الموضوع الذي كان جديرا بقلم أكبر من قلمي، وبعقل أوسع من عقلي، وبتجربة أطول وأوسع من تجربتي كمؤلف"،⁽⁴⁵⁾ حيث كان هذا الكتاب من أوائل مؤلفات الندوي التي عرف بها في العالم الإسلامي، الذي كان حينها يعاني ظروفًا استعمارية مثل الهند التي كانت تحت النفوذ البريطاني، وهذا يوضح نوع البيئة التي كان يحياها الندوي، والتي لا بد أنها أثرت في توجيه تأليفه لهذا الكتاب سواء من حيث الأفكار أو من حيث الألفاظ والمصطلحات أو من حيث الأسلوب في الطرح والكتابة.

يلاحظ أن شعور الندوي بصعوبة موضوع كتابه تعكس قيمته الكبيرة التي وعيها الندوي، وتعكس قدرة الندوي أيضا في بحثه.

⁴² نشر له أول مقال بالعربية في مجلة "المنار" للسيد رشيد رضا عام 1931م حول حركة الإمام السيد أحمد بن عرفان. ظهر له أول كتاب بالأردية عام 1938م بعنوان "سيرة سيد أحمد الشهيد"، ثم ألف كتابه "مختارات في أدب العرب" عام 1940م، وسلسلة "قصص النبيين" للأطفال، وسلسلة أخرى للأطفال باسم "القراءة الراشدة" في الفترة ما بين 1942-1933م. انظر: محمد طارق الزيري، مقال سيرة سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي، بحوث ودراسات، مرجع سابق، ص 537.

⁴³ ألف الندوي هذا الكتاب بين سنة 1363-1364هـ (1944-1945م)، انظر: الندوي أبو الحسن، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ مرجع سابق، ص 21.

⁴⁴ الندوي أبو الحسن، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟، مرجع سابق، ص 21.

⁴⁵ المرجع نفسه، ص 21.



4. **جرأة الطرح:** يشير الندوي أن عنوان كتابه "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟" أضفى نوعاً من الدعابة والطفرة على الكتاب، والطفرة كامنّة في الجرأة على طرح خسارة العالم المتطور والمتحضر وربطه بانحطاط المسلمين، الشيء الذي يطرح في حد ذاته تساؤلات أخرى عديدة، منها: - أي خسارة خسر الغرب بتدري حال المسلمين؟ - وما عسى الغرب يريح بنهضة ورقي المسلمين؟ كما ينبه الندوي بأن جرأة موضوع كتابه غير طريقة نظرة الناس إلى المسلمين من خلال التاريخ العالمي، إلى النظر إلى العالم من خلال المسلمين، إلا أن فكرة النظر للعالم من خلال المسلمين تحمل الكثير من المثالية والبعد عن الواقع ولا تجعل من إمكانية تحقق ذلك إلا نظرياً، لأنه من الصعب اتخاذ المثل ممن يفتقد القوة الروحية تطبيقياً ويفتقد القوة المادية كلياً.

يعتبر الندوي أخيراً أن كتابه هذا سلسلة حلقتها الثانية كتابه "الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية"⁽⁴⁶⁾. ويعتبره متناغماً مع شعور "الإخوان المسلمين" في مصر خاصة بعد حل حركة الإخوان "فجاء هذا الكتاب مسلياً معزياً، بل كسلاح علمي يدافعون به عن فكرتهم"⁽⁴⁷⁾ وهذا اعتراف واضح من الندوي في تشابه رؤيته للمنهج الإصلاحي مع منهج حركة الإخوان.

✓ **تقديم الكتاب:** يعتبر كتاب "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟" أول كتاب للندوي "عرفه به العالم العربي"⁽⁴⁸⁾، وقد اختار الندوي بعد تأليفه أن تقوم بنشره مؤسسة علمية ذات قيمة علمية، وهي لجنة التأليف والترجمة والنشر في مصر التي كان يرأسها الكاتب الدكتور أحمد أمين⁽⁴⁹⁾، وقد تم للندوي ذلك⁽⁵⁰⁾ وقد قدم الدكتور أحمد أمين لهذا الكتاب في طبعته الأولى سنة 1950م، أما في الطبعة الثانية فقد طلب الندوي من سيد قطب ليقدم

⁴⁶ الندوي أبو الحسن، في مسيرة الحياة، مرجع سابق، ج 1، ص 314.

⁴⁷ الندوي أبو الحسن، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ مرجع سابق، ص 28.

⁴⁸ القرضاوي يوسف، الشيخ الندوي...، مرجع سابق، ص 146.

⁴⁹ ت 1954م، كاتب وباحث مصري، عني بتاريخ الحياة العقلية عند المسلمين وذلك في كتبه "فجر الإسلام" و"ضحى الإسلام" و"ظهر الإسلام"، وله أيضاً "فيض الخاطر". انظر: البعلبكي منير، معجم أعلام المورد، بيروت، دار العلم، 1992، ص 66.

⁵⁰ الندوي أبو الحسن، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟، مرجع سابق، ص 25.



لهذا الكتاب، بالإضافة إلى مقدمة للدكتور محمد يوسف موسى⁽⁵¹⁾ صاحب اقتراح طبعة ثانية منقحة من الأزهر، وقد تم ذلك سنة 1951م؛ أما باقي الطباعات فقد صدر للكتاب -وفق إحصاء المحقق عبد الماجد الغوري- أكثر من ستين طبعة رسمية وغير رسمية.⁽⁵²⁾

بالنسبة لتقديم أحمد أمين فقد تفاجأ الندوي به إذ اعتبره صغيراً دون تطلعات الكاتب وآماله، واعتبر هذا دليلاً على أن أحمد أمين "كان متحفظاً شديداً التحفظ في إبداء انطباعاته عن الكتاب ومؤلفه"⁽⁵³⁾ يقول الندوي عنه أنه محق في خوفه من إعطاء كتاب من لا يعرفه معرفة شخصية ولم يطلع على مستواه العلمي قيمة قد لا يستحقها⁽⁵⁴⁾.

يعتبر الندوي مقدمة سيد قطب بالقوية التي زادت في قيمة كتابه،⁽⁵⁵⁾ يقول سيد قطب أن الندوي لا يعتمد على "مجرد الاستثارة الوجدانية أو العصبية الدينية، بل يتخذ الحقائق الموضوعية أدواته، فيعرضها على النظر والحس والعقل والوجدان جميعاً، ويعرض الوقائع التاريخية والملابسات الحاضرة عرضاً عادلاً مستنيراً، ويتحاكم في القضية التي يعرضها كاملة إلى الحق والواقع والمنطق والضمير"⁽⁵⁶⁾، ويرى أن أبرز خاصية للكتاب "الفهم العميق لكليات الروح الإسلامية في محيطها الشامل، وهو لهذا لا يُعد نموذجاً للبحث الديني والاجتماعي فحسب، بل نموذجاً كذلك للتاريخ كما ينبغي أن يكتب من الزاوية الإسلامية"⁽⁵⁷⁾ يتميز هذا التقديم بالعلمية والدقة في توظيف الألفاظ سواء في عرض الوسائل والمنهج التي اعتمدها الندوي في كتابه، أو من حيث تقييم طبيعة البحث والمنطلقات المعتمدة فيه، فسيد قطب

⁵¹ أستاذ كلية أصول الدين في الأزهر، رئيس جماعة الأزهر للتأليف والترجمة والنشر. (ت. 1963م). انظر: الندوي أبو الحسن، ماذا خسر العالم باخطاط المسلمين؟، مرجع سابق، ص 28-29.

⁵² الندوي أبو الحسن، ماذا خسر العالم باخطاط المسلمين؟، مرجع سابق، ص 5.

⁵³ الندوي أبو الحسن، ماذا خسر العالم باخطاط المسلمين؟، مرجع سابق، ص 26.

⁵⁴ المرجع نفسه، ص 27، بتصرف.

⁵⁵ المرجع نفسه، ص 28.

⁵⁶ المرجع نفسه، ص 35.

⁵⁷ المرجع نفسه، ص 38.



يرى أن الندوي لم يكن معتمدا على العاطفة بقدر اعتماده على الموضوعية أسلوبا ومرجعية، وأهم ميزاته الإمام الشامل بروح الإسلام، هذه الشمولية التي ميزت الكتاب بغناه النوعي. يقول محمد يوسف موسى في تقديمه للكتاب أنه لا يحتاج إلى ذلك لأن القراء تقبلوه بقبول حسن، وحضي باستحسان لم يظفر به غيره من المؤلفات الإسلامية في تلك الأيام، و توفر الكتاب على ثمرات البحث ونشدهانه الحق، يقول: "لست أذكر فيما قرأت من القديم والحديث كتابا حوى من الخير ما حواه هذا الكتاب، ولا كتابا وضع أيدينا على دواء ما نشكو منه من أدواء وأمراض"⁽⁵⁸⁾ ويخلص إلى أن: "قراءة هذا الكتاب فرض على كل مسلم يعمل لإعادة مجد الإسلام"⁽⁵⁹⁾؛ وهذا التقديم لا يختلف كثيرا عن تقديم سيد قطب من حيث المضمون والنتائج المتوصل إليها إلا أن طريقة عرض محمد يوسف موسى أكثر مباشرة وأسلوبه أدبي بسيط أقل علمية من أسلوب سيد قطب.

يصف يوسف القرضاوي كتاب الندوي بأنه كتاب مبارك ويقول أنه من أعظم مؤلفات الندوي الذي كان نسيجا وحده وكان أحسن رسول إلى العالم العربي"⁽⁶⁰⁾، كما يذكر وهبة الزحيلي أنه يصطحب معه كتاب الندوي "ماذا خسر العالم بالخطا المسلمين؟" أحيانا أثناء أسفاره ورحلاته"⁽⁶¹⁾.

⁵⁸ الندوي أبو الحسن، ماذا خسر العالم بالخطا المسلمين؟، مرجع سابق، ص 45.

⁵⁹ المرجع نفسه، ص 41.

⁶⁰ القرضاوي يوسف، الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته، مرجع سابق، ص 158.

⁶¹ الزحيلي وهبة، تقدمت كتاب عبد الماجد الغوري، أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية الأديب، مرجع سابق، ص 15.



المبحث الثاني: قراءة وعرض أفكار الندوي:

المطلب الأول: عرض أفكار ومنهج الندوي في الإصلاح:

تصنّف أفكار الندوي المتعلقة بالإصلاح -في كتابه محل الدراسة- إلى ثلاث أفكار أساسية بارزة، يتم عرضها بعد تعريف الإصلاح:

● الإصلاح لغة يأتي بمعنى الصلاح ضد الفساد⁽⁶²⁾، أو الإصلاح نقيض الإفساد، وأصلح الشيء بعد فساد: أقامه،⁽⁶³⁾ أي أن الإصلاح عكس الإفساد تماماً ولا يتحقق أحدهما إلا بزوال الثاني، ولذلك من البديهي ألاّ يتم إصلاح دون إزالة فساد .

أما اصطلاحاً فالإصلاح هو تغيير الشيء بإزالة الفساد الذي حدث به؛ يختلف الإصلاح باختلاف محله وموضوعه "فإصلاح السن بمعالجته بالحمية والدواء، وإصلاح النفس بمعالجتها بالتوبة الصادقة، وإفساد الأبدان بتناول ما يحدث به الضرر، وإفساد النفس بمقارفة المعاصي والذنوب، هكذا تعتبر النفوس بالأبدان في باب الصلاح والفساد في كثير من الأحوال"⁽⁶⁴⁾. الإصلاح إذن متنوع وتختلف وسائله باختلاف طبيعة موضوعه.

الإصلاح له صلة بالنقد والثورة، فالإصلاح نتيجة للنقد، فهما متلازمان، وهذا الكلام يعتبر ملاحظة الفساد والرغبة في الإصلاح عنصرين للنقد، وهذا يدل على أن ملاحظة عنصر الفساد جزء أساسي من النقد، إلا أن الإصلاح لا يمكن اعتباره العنصر الثاني حتمياً، أي لا يمكن أن يدخل الإصلاح في ماهية النقد بشكل مباشر وإنما يترتب وينتج عنه، لكن محاولة الإصلاح وتقدم الحلول نظرياً يمكن أن تدخل كجزء ثانٍ في تكوين النقد، فالإصلاح عملية تغيير وانتقال من حال إلى أخرى، أما النقد فيقتصر على الملاحظة وتشخيص العلل وتقدم الحلول، دون تطبيقها بالضرورة.

⁶² الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ط6، مؤسسة الرسالة، 1998م، ص 229.

⁶³ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ/1994م، مج2/ 517.

⁶⁴ الطالبي عمار، ابن باديس حياته وآثاره، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1403هـ/1983م، ج1/ 231 .



الفساد والإصلاح إن اعتبرنا عنصرين للنقد، بحيث أن الأول موجود يُراد إزالته وتغييره للوصول إلى تحقيق الثاني المرغوب فيه، يبقى الإشكال المطروح في مدى توافق هذه الرغبات مع المرجعية الذاتية للفرد، هذه المرجعية التي يجب أن تكون هي المقياس.

الإصلاح يشترك مع الثورة في عمق وشمولية التغيير، إلا أنهما يختلفان في الأسلوب، فالثورة "تسلك سبل العنف-غالبا- والفجائية والسرعة في التغيير"⁽⁶⁵⁾ في حين التغييرات الإصلاحية تتسم بالتدرج، وخير مثال على ذلك دعوات الرسل الإصلاحية -عليهم السلام- ولذلك وصفت رسالات الرسل -عليهم الصلاة والسلام- بأنها دعوات إصلاح⁽⁶⁶⁾، كما أن الثورة تعتبر من النتائج الحتمية لإهمال عملية الإصلاح⁽⁶⁷⁾، وتقوم بأي شكل من الأشكال المنظمة أو الفوضوية؛ الإصلاح إذن أعم من النقد ويشتمل ملاحظة الفساد وإزالته، كما أن الإصلاح يختلف عن الثورة في أسلوبه المعتمد على السلم والمرحلية.

يكون الإصلاح في كل مواضع الخلل ويشمل العديد من المجالات، ولهذا اعتبرت التجزئة في الإصلاح عقبة في سبيله⁽⁶⁸⁾، إلا أن رؤية جوانب الإصلاح وميادينه تختلف ولهذا نجد الإصلاح السياسي والاقتصادي والتربوي، والإصلاح الديني، وهذا لإزالة الفساد وإحداث التغيير، لكن أكبر إشكال يطرح هنا يتعلق بالمقياس الذي يتم به تحديد الفساد والأهم تحديد طريقة الإصلاح، ولهذا لا بد من الحديث عن الإصلاح الديني الإسلامي.

الإصلاح الديني الإسلامي يعتبر تخصيصا لنوعه ولمصدره، أي هو تعيين لنوع مرجعية الإصلاح التي لا بد أن يوظف الإصلاح ضمن مبادئها ومقاييسها، وليس المقصود ما قد يفهم من اللفظ المركب "الإصلاح الديني" إصلاح الدين، إذا قيس على أمثلة الإصلاح السياسي والاقتصادي مثلا، اللذان يعينان إصلاح السياسة وإصلاح الاقتصاد.

⁶⁵ عمارة محمد، الوسيط في المذاهب والمصطلحات الإسلامية، ط2، مصر، نضمة مصر للنشر والتوزيع، 2005م، ص 184.

⁶⁶ المرجع نفسه، ص 185، بتصرف.

⁶⁷ البنا حسن، مذكرات الدعوة والداعية، دار التراث الإسلامي، شركة الشهاب، باتنة، ص 72، بتصرف.

⁶⁸ الطالبي عمار، ابن باديس حياته و آثاره، ط2، بيروت، 1403هـ/1983م، 1 / 100.



عرّف الإصلاح الديني الإسلامي بأنه: "محاولة رد الاعتبار للقيم الدينية، ورفع ما أثير حولها من شبهات وشكوك قصد التخفيف من وزنها في نفوس المسلمين، محاولة السير بالمبادئ الإسلامية، من نقطة الركود التي وقفت عندها في حياة المسلمين، إلى حياة المسلم المعاصر، حتى لا يقف المسلم اليوم موقف متردد بين أمسه وحاضره، عندما يصبح في غده"⁽⁶⁹⁾ وقد يقصد صاحب هذا التعريف بمحاولة رد الاعتبار للقيم الدينية بتصحيح رؤية المسلمين واعتباراتهم لهذه القيم، لأن الإشكال واقع في فهمهم واستعمالهم لها ليس في حقيقة القيم الدينية، مما يدفع لتحديد معنى الإصلاح الديني الإسلامي بتغيير موقف المسلمين من القيم والمبادئ الإسلامية نظرياً وتطبيقياً، أي على المستويين الفكري والعملي، وهكذا يمكن القول أن "الإصلاح الديني بعد هذا تفكير ومنهج، يقوم على نقد وبناء، ويخلص إلى (اعتبار) قيمة واحدة، هي قيمة الإسلام في التوجيه الإنساني"⁽⁷⁰⁾. يمكن الخلوص إذن إلى أن الإصلاح الديني الإسلامي هو إعادة إحياء القيم الإسلامية تصوراً وتطبيقاً في ذهن المسلم وقلبه وحياته.

طرائق الإصلاح ومناهجه مختلفة من مصلح لآخر باعتبار البيئة من جهة، وباعتبار القناعات الشخصية للمصلح في اختيار المنهج الذي يراه مناسباً لتحقيق الإصلاح من جهة أخرى، فنجد محمد بن عبد الوهاب - مثلاً - يركز على إصلاح العقيدة، في حين مدحت باشا يركز على إصلاح الحكومة، أما جمال الدين الأفغاني فأصالح العقول والنفوس أولاً ثم إصلاح الحكومة...⁽⁷¹⁾، فمحمد بن عبد الوهاب مثلاً كانت نوعية إصلاحه متأثرة بالمظاهر الشريكية التي كانت تُميّز بيئته، في حين كان يرى مدحت باشا أن الإصلاح يعتمد على الاقتداء بالمدينة الغربية بما يناسب الأمة الإسلامية ويبدو أن ما أثر على رؤيته ما حققته الدول الأوروبية بعد نهوضها، في حين نجد الأفغاني يرى أن الإصلاح يشمل الفرد ثم الحكومة

⁶⁹ البهي محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ط7مريضة ومنقحة، دار الفكر، 1991، ص 421.

⁷⁰ المرجع نفسه، ص 422.

⁷¹ أمين أحمد، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، بيروت، دار الكتاب العربي، ص59، بتصرف.



لكن يبقى من الضروري عند الإصلاح، عدم إحداث فساد في نواحي أخرى، وأن يبقى عامل الإخلاص لله قائماً، مع الحرص على الرؤية الشمولية على مستوى التشخيص والمعالجة.

● أفكار الندوي المتعلقة بمبادئ الإصلاح أي المواطن التي يرى الكاتب بإصلاحها وصلاحتها يصير للأمة الإسلامية نفس القوة والكيان الذي كانت عليه في صدر الإسلام، وهي تمثل مواطن فعالة هي مفاتيح الانتصار والغلبة للدين وللأمة، لتصير "قوة خارقة لا يغلبها العالم"⁽⁷²⁾ ويمكن تصنيف هذه الميادين كالتالي:

1. الإصلاح الروحي: يتضمن هذا الإصلاح الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، والتزكية الروحية بتعاليم الدين والأخلاق الإسلامية، والحمية الدينية. وهذا الفكر الروحي متجذر في كتاب الندوي سواء وهو يناقش فقدانه أو حين يناقش ضرورة توفره كعنصر أساسي للنهوض والفعالية الإصلاحية، ولا يخلو باب من أبواب كتابه من الإشارة إليه.

2. الإصلاح المادي: يولي الندوي للجانب المادي أهمية كبيرة سواء ما تعلق بالاستقلال الاقتصادي وعدم التبعية أو بالقوة العسكرية، وقد تم ذكر ذلك في الباب الثالث من الكتاب.

3. الإصلاح الفكري والنفسي: وهو متعلق بالوعي بجاهلية العالم والثقة بوجود الحل بحوزة المسلم وبسبب رسالته، وهذا متضمن في الباب الخامس من الكتاب.

4. الإصلاح العملي: ومعناه السعي للإصلاح مع التضحية والإقدام في سبيل ذلك، وكأنهما السر في القيام بالجانب التطبيقي، وهذا ما أشار إليه الكاتب في الباب الخامس أيضاً.

● أفكار الندوي الأساسية من خلال كتابه:

1. فكرة اتصال تاريخ الإصلاح والتجديد عبر الزمن:

المقصود من اتصال تاريخ الإصلاح والتجديد هو تواجد المصلحين والمجددين عبر التاريخ بتسلسل واستمرار، فلفظ الاتصال يلغي لفظ الانقطاع. يعالج الندوي هذا الموضوع بطريقة علمية مبررا ذلك بقوله:

⁷² الندوي أبو الحسن، المد و الجزر في تاريخ الإسلام، دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت، 1419هـ-1998م، ص 10.



"من الحقائق الأولية أن الحياة متحركة ومتطورة، دائمة الشباب، مستمرة النمو، تنتقل من طور إلى طور، ومن لون إلى لون، لا تعرف الوقوف ولا الركود، ولا تصاب بالهرم والتعطل، فلا يسايرها في رحلتها الطويلة المتواصلة إلا دين حافل بالحركة والنشاط، لا يتخلف عن ركب الحياة ولا يعجز عن مسايرته وزمالاته... وذلك شأن الإسلام -فإنه- وإن كان مؤسساً على عقائد ثابتة وحقائق خالدة... صالح لكل زمان ومكان⁽⁷³⁾ فهو يركز هنا على عنصرين مهمين، الأول: الكليات من الدين وثباتها، والثاني عاملي الزمان والمكان اللذان يتغيران، مشيراً إلى توفر شروط مناسبة الدين الإسلامي لكل زمان ومكان لما يتميز به من مرونة وشمول، وهذا هو سبب إصرار الندوي على تواصل سلسلة الإصلاح لأنه يعتبرها من براهين صلاحية الدين الإسلامي من جهة ومن جهة أخرى لأنها إحدى قوتي الأمة الإسلامية في مقاومة تغيرات الزمان والمكان⁽⁷⁴⁾ دفاعاً عن نظريته يؤكد الندوي على وجود مصلحين ومجددين بين مختلف فترات الزمن وإن وجد نقص في إيضاح ذلك فهو راجع إلى خلل في التأليف⁽⁷⁵⁾ مرجعاً السبب في ذلك إلى تركيز المؤرخين في أعمالهم على حياة وتاريخ الملوك والحاشية دون غيرهم، والتركيز في بحوثهم على الكتب المتخصصة في التاريخ خاصة على مستوى العناوين⁽⁷⁶⁾، أي اقتصار المؤرخين في كتابتهم للتاريخ من حيث الموضوع على عينة خاصة من المجتمع، ومن ناحية الأسلوب فاهتمامهم بالكتب المتخصصة في التاريخ والتي تحمل عناوين بنفس لفظ التاريخ وعدم استعمال ما سواها من الكتب، ولهذا يقدم الندوي بدائل تُكِّن من التأريخ الجيد للإصلاح، ويقترح منهجية للتأليف حوله.

⁷³ الندوي أبو الحسن، رجال الفكر والدعوة، الكويت، دار القلم، الكويت، 1985، م/ 1، 13.

⁷⁴ إلى جانب الحيوية الكامنة في وضع الإسلام نفسه وصلاحيته للحياة. انظر: الندوي أبو الحسن، رجال الفكر والدعوة، ج 1، مرجع سابق، ص 16-15.

⁷⁵ الندوي أبو الحسن، رجال الفكر والدعوة، مرجع سابق، 27/1.

⁷⁶ أي توفر لفظ تاريخ في عنوان الكتاب.



يقارن الندوي بين الإسلام والمسيحية في مجال الإصلاح والتجديد، مشيراً إلى أن تاريخ الديانة المسيحية لم يشهد مصلحين أو مجددين، فقد ابتليت المسيحية في عهدها الباكر أي في منتصف القرن الأول المسيحي بتحريف لا نظير له، فمن ديانة توحيدية إلى ديانة وثنية "تتركب من الأفكار اليونانية والبوذية وبطلها بولس⁽⁷⁷⁾ Paul، ولم يظهر أي مصلح حتى القرن الخامس عشر، وهو "مارتن لوثر"⁽⁷⁸⁾ Martin Luther بألمانيا، إلا أن إصلاحه كان جزئياً وليس جوهرياً، ورغم ذلك فلم يخلفه رجل في العالم المسيحي يرفع صوته ضد انحرافات الكنيسة".⁽⁷⁹⁾

2- فكرة العبقري:

يتطرق الندوي في الكثير من مؤلفاته إلى الحديث عن شخصية محركة للإصلاح وحاملة للواء وضرورة لتحقيقه، ويطلق عليها اسم "العبقري" والذي تم التعرض له في الباب الأول من الكتاب ويعرفه كالتالي: "العبقري العصامي الذي يواجه الحضارة الغربية بشجاعة وإيمان، وذكاء"⁽⁸⁰⁾ لكنه يشير إلى أنه "لا يزال مفقوداً في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي"⁽⁸¹⁾ وهذا يطرح إشكالين:

الأول ظهور العبقرية كشخصية خيالية مثالية لا علاقة لها بالواقع، والإشكال الثاني حكم الندوي بافتقاد هذا العبقري يتناقض مع فكرة الندوي الأولى في تواصل سلسلة الإصلاح والمصلحين الذين لا يمكن إنكار الإصلاح الذي حققوه، ولهذا يبدو أن ما قصده

⁷⁷ القديس بولس أحد دعائم الكنيسة المسيحية القديمة. اضطلع النصراني في بادئ الأمر ثم تنصر وانصرف إلى التبشير بالديانة الجديدة وبخاصة في آسيا الصغرى واليونان. قتل حوالي سنة 67م. انظر: البعلبكي منير، معجم أعلام المورد، بيروت، دار العلم، 1992م، ص 121. يحدد الندوي تاريخ ولادة ووفاة بولس ب: 10-65م، دون ذكر مرجع. انظر: الندوي أبو الحسن، رجال الفكر والدعوة، مرجع سابق، 1/ 19. تم البحث عن ترجمة "بولس" في الموسوعة السياسية للكلابي لكن لم يتم العثور عليه.

⁷⁸ (1483م-1546م) راهب ألماني، زعيم حركة الإصلاح البروتستانتي في ألمانيا، هاجم متاجرة الكنيسة بصكوك الغفران. انظر: منير البعلبكي، معجم أعلام المورد، مرجع سابق، ص 389.

⁷⁹ الندوي أبو الحسن، رجال الفكر والدعوة، مرجع سابق، ج 1، ص 19-20، بتصرف.

⁸⁰ الندوي أبو الحسن، نضائح وتوجيهات للشباب المسلم، دار ابن كثير، إعداد وترتيب الغوري عبد المجاد، دمشق-بيروت، 1420 هـ، 1999م، ص 65-66.

⁸¹ الندوي أبو الحسن، نضائح وتوجيهات للشباب المسلم، مرجع سابق، ص 68.



الندوي الإشارة إلى صعوبة الظروف وخصوصيات الزمن الذي يتحدث عنه تتطلب مثل هذا العبقرى الذي يراه الندوي صالحا لمواجهة الحضارة الغربية ليتمكن من التأثير في "مصير هذه الأمة"⁽⁸²⁾ التي تعيش فراغا كبيرا يبرهن على حاجتها إلى هذا العبقرى⁽⁸³⁾ ؛ ويحدد الندوي خصائص العبقرى⁽⁸⁴⁾ كالتالى:

- تفادى التقليد والمحاكاة والتطرف والمغالاة.
- عدم الخضوع للأشكال والمظاهر والمفاهيم السطحية.
- التمسك بالحقائق وأسباب القوة وبالأصول⁽⁸⁵⁾
- الجمع بين الإيمان والدين والعلم واستنباط الغايات الصالحة من الدين.
- إفادة الآليات والوسائل القوية على اختلافها من الحضارة الغربية، مع الانتقاء حسب غايات عقيدته، "ويطعمها بالإيمان بقاطر الكون ومديره"⁽⁸⁶⁾
- تأسيس جهاز على الإيمان بنبوة محمد ﷺ.
- جعل الشريعة الإسلامية دستورا للحياة⁽⁸⁷⁾
- النظر للغرب نظرة الند المتفوق في بعض العلوم المادية وحاجته إلى الروحية،⁽⁸⁸⁾ وهذه الثقة هي التي تجعل الأوروبي وغيره يؤمن بصلاحية الإسلام في تكوين الأجيال⁽⁸⁹⁾
- المزج بين حسنات الغرب والشرق والقوى المادية والروحانية للوصول إلى منهج يجدر بالغرب تقديره وتقليده"، حتى يضيف إلى المدارس الفكرية والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد وإتباع"⁽⁹⁰⁾.

⁸² الندوي أبو الحسن، نحو تربية إسلامية حرة، مؤسسة الإسراء للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط4، 1402هـ-1982م، ص 42.

⁸³ الندوي أبو الحسن، نصائح وتوجيهات للشباب المسلم، مرجع سابق، ص 65-66.

⁸⁴ المرجع نفسه، ص 65-66. انظر أيضا: الندوي أبو الحسن، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، مرجع سابق، ص 233.

⁸⁵ المرجع نفسه، ص 65-66.

⁸⁶ المرجع نفسه، ص 67.

⁸⁷ المرجع نفسه، ص 66.

⁸⁸ المرجع نفسه، ص 68.

⁸⁹ الندوي أبو الحسن، أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين، ط3، قسنطينة، مؤسسة الإسراء للنشر والتوزيع، ص 26.

⁹⁰ الندوي أبو الحسن، نصائح و توجيهات للشباب المسلم، مرجع سابق، ص 68.



الخصائص والمميزات المذكورة كلها ذات تكامل إن لم نقل استكمال تام لجميع القيم الإيمانية والدينية والعلمية والنفسية، بالإضافة إلى الحصول والاستعمال الجيد والمناسب لكل الوسائل الضرورية للإصلاح، وبالتالي تحقيق نتائج على المستويين الداخلي والخارجي للإنسان والمجتمع.

إن بحثنا عن صورة العبقري المصلح لدى الندوي عبر التاريخ نجدها متمثلة في "السرهندي" الذي ألف عن منهجه كتابا تحت عنوان "منهج أفضل في الإصلاح للدعاة والعلماء" بالإضافة إلى تخصيص جزء كامل عنه في سلسلته رجال الفكر والدعوة، فهو يراه المثل الأعلى للمصلح والمجدد.⁽⁹¹⁾

3- فكرة الأمة المصلحة :

إن الندوي في حديثه عن الإصلاح لا يراه يقف عند مستوى الفرد وهذا ضمن فكرة العبقري، بل يتعداه إلى الجماعة بأوسع معانيها وهذا لأنه يرى أن الأزمة أيضا "أزمة عدم وجود القدوة الصالحة على مستوى الشعوب والأمم"⁽⁹²⁾ فنجدته يقول "إنما تتطلع الشعوب لشعب مثالي". وقد تعرض لهذا في الباب الثالث المتعلق بالعصر الإسلامي.

فكرة الندوي هذه جاءت انطلاقا من رؤيته للبعثة المحمدية أنها ليست بعثة رسول فقط بل هي بعثة أمة بأسرها، إذ يقول عنها "هنالك بعث الله أمة بأسرها لتحارب هذا الفساد المنتشر حول هذه الجزيرة" قاصدا الجزيرة العربية،⁽⁹³⁾ موضحا أنه بانخراط العرب في سلك هذه البعثة أصبحوا روادا لها وحملة رسالة.⁽⁹⁴⁾

⁹¹ الندوي أبو الحسن، في مسيرة الحياة، مرجع سابق، ج 2، ص 260.

⁹² الندوي أبو الحسن، أحاديث صريحة مع العرب والمسلمين، مرجع سابق، ص 21.

⁹³ المرجع نفسه، ص 55.

⁹⁴ المرجع نفسه، ص 24.



يستشهد الندوي على كلامه بحديث الرسول ﷺ: "إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين"⁽⁹⁵⁾ الذي يخاطب فيه الجماعة، التي فقهت هذا المعنى من المسؤولية، ولذلك نجد الصحابي ربيعي بن عامر لما سأله رستم قائد قوات الفرس يقول: "ابتعثنا الله"، وهذا الاستشهاد الثاني للندوي⁽⁹⁶⁾.

يرى الندوي من أجل تفعيل نخضة الأمة وعودتها إلى الحالة التي كانت عليها في عهدها الأول أن تحقق ضروريا جملة من الشروط، ويصطلح على تسمية هذه العودة بـ "الانتفاضة الإسلامية الجديدة"⁽⁹⁷⁾ أما الشروط فهي كالتالي:

● تحريك الإيمان في نفوس المسلمين وإثارة الشعور الديني بتصحيح العقيدة، وإخلاص الدين لله والابتعاد عن الشرك والعقائد الفاسدة، والابتعاد عن العادات الجاهلية والتقاليد غير الإسلامية⁽⁹⁸⁾

● صيانة الحقائق الدينية والإسلامية من التحريف والإخضاع للتصور الغربي.⁽⁹⁹⁾

● بناء صلة روحية وعاطفية قوية بالنبي ﷺ⁽¹⁰⁰⁾

● وجوب العناية ببقاء الشعور بأهمية الجهاد في المفهوم القرآني الشرعي الإسلامي، وإحلاله المحل اللائق من العقل والعاطفة.

⁹⁵ البخاري، صحيح البخاري، باب صب الماء على البول في المسجد، الرياض، ط2، دار السلام، الرياض، 1419هـ-1999م، ص41.

⁹⁶ الندوي أبو الحسن، أحاديث صريحة مع العرب و المسلمين، مرجع سابق، ص23.

⁹⁷ الندوي أبو الحسن، حاجة البشرية إلى معرفة صحيحة ومجتمع إسلامي، دمشق، دار ابن كثير، 2002/1423، ص52.

⁹⁸ المرجع نفسه، ص52.

⁹⁹ المرجع نفسه، ص53.

¹⁰⁰ المرجع نفسه، ص54.

¹⁰¹ المرجع نفسه، ص54.



● "إعادة الثقة في نفوس الطبقة المثقفة، ومن بينهم القيادة الفكرية والتربوية، والإعلامية في البلاد والحكومات الإسلامية بصلاحية الإسلام وقدرته... على قيادة الركب البشري إلى الغاية المثلى"⁽¹⁰²⁾ هذا الاهتمام الخاص من الندوي راجع لاعتباره سوء تفكير هذه الطبقة (أي المثقفة) وانحرافها من أهم أسباب الردة الفكرية ولهذا يقول: "وبذلك اتجه العالم الإسلامي اليوم من الفكر الإسلامي الخالص إلى التفكير الغربي الخالص" ويحمل دعاة الدين مسؤولية العناية بالمثقفين وإصلاحهم حتى تتجه الأفكار الإسلامية إلى تفكيرها الصحيح⁽¹⁰³⁾.

● قلب نظام التربية والتعليم المستورد من الغرب وإصلاحه إصلاحاً جذرياً بمعنى الابتكار حتى ينشأ المجتمع الإسلامي⁽¹⁰⁴⁾

● تمثيل الحضارة الإسلامية في كل مرافق الحياة حتى لا يصير "العالم الإسلامي نموذجاً للحياة الإسلامية والمثل الإسلامية فحسب، بل يقوم بدعوة صامته للإسلام".⁽¹⁰⁵⁾

● معاملة إنتاج الحضارة الغربية كمادة خام، واعتبار الغرب كقرين قد يحتاج إلينا أكثر مما نحتاج إليه،⁽¹⁰⁶⁾ وبناء القوة التي تكون سبباً للخشية والرجاء لأن "الأفراد والحكومات لا تحترم إلا إذا كانت تُخشى وتُرجى"⁽¹⁰⁷⁾، وحالة المسلمين اليوم أنهم يرجون ولا يُخشون، وينفعون ولا يضرّون" ولكن الفطرة البشرية منذ أن فطرها الله تعالى تعودت أن تخضع للقوة ولما عند الفرد أو الجماعة من قدرة الإضرار والدفاع عن نفسه وأخذ الثأر لها"⁽¹⁰⁸⁾.

¹⁰² الندوي أبو الحسن، حاجة البشرية إلى معرفة صحيحة ومجتمع إسلامي، دمشق، دار ابن كثير، 2002/1423، مرجع سابق، ص 54.

¹⁰³ الندوي أبو الحسن، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، مرجع سابق، ص 216، بتصرف.

¹⁰⁴ الندوي أبو الحسن، حاجة البشرية إلى معرفة صحيحة ومجتمع إسلامي، مرجع سابق، ص 56.

¹⁰⁵ المرجع نفسه، ص 58.

¹⁰⁶ المرجع نفسه، ص 58.

¹⁰⁷ الندوي أبو الحسن، أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين، مرجع سابق، ص 80.

¹⁰⁸ المرجع نفسه، ص 81.



● إقناع الحكومات المسلمة -المسألة للإسلام- بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية. (109)

● الدعوة بالحكمة في بلاد غير المسلمين والاجتهاد في بلاد الأقليات المسلمة (110)

● الإصلاح والسياسة:

تناول الندوي في كتابه هذا الموضوع في الباب الرابع وذلك من خلال حديثه عن موضوع الخلافة في سياق حديثه عن السياسة، لقيمتها الدينية ولشمولها الشرعي والديني، والتي تُعرّف بأنها "حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخوية والدينية الراجعة إليها"، (111) فهي ذات مرجعية إسلامية وترمي إلى تحقيق أهداف دنيوية ودينية .

يتبنى الندوي تعريف الدهلوي للخلافة باعتباره جامعاً مانعاً: "الخلافة هي الرئاسة العامة في التصدي لإقامة الدين بإحياء العلوم الدينية وإقامة أركان الإسلام، والقيام بالجهاد وما يتعلق من ترتيب الجيوش والفرض للمقاتلة وإعطائهم من الفيء والقيام بالقضاء وإقامة الحدود ورفع المظالم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نيابة عن النبي ﷺ" (112) هذا التعريف يشمل -على حد التعبير الحالي- أربع وزارات أو هيئات: وزارة الشؤون الدينية ووزارة الدفاع ووزارة العدل وأخيراً هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (113)، قد يفتقر هذا التعريف إلى الشمول الذي تتميز به الشريعة الإسلامية في اهتمامها بجميع جوانب الحياة، لكن نجد الندوي يستكمّله بقوله أنها يجب أن تكون "ترجمانا صالحاً ومثلاً صادقة للشريعة الربانية" (114).

109 الندوي أبو الحسن، حاجة البشرية إلى معرفة صحيحة ومجتمع إسلامي، مرجع سابق، ص 58.

110 المرجع نفسه، ص 59.

111 ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، تحقيق درويش الجويدي المكتبة العصرية صيدا- بيروت، ط1، 1997م، ص 178.

112 الندوي أبو الحسن، رجال الفكر والدعوة، مرجع سابق، ج/203

113 استعملت كلمة "هيئة" مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عوض "وزارة" لعدم وجود وزارات بهذا الاسم بخلاف وجودها كهيئة (بالمملكة العربية السعودية).

114 الندوي أبو الحسن، رجال الفكر والدعوة، مرجع سابق، ج/4، 201.



يهتم الندوي بالخلافة وإقامتها، ويؤكد بأن الشريعة الإسلامية أولت "إقامة نظام الإمارة والخلافة أهمية بالغة حتى صيرتها بدونها حياة جاهلية"⁽¹¹⁵⁾، وهذا لأن الحياة بدونها مخالفة لضرورة وسبب إقامتها المتمثل في تطبيق أحكام الدين الإسلامي بما في ذلك سياسة الدولة شرعاً؛ فيرى بأنها "فن إدارة الشؤون العامة أو تنظيم أمور الدولة وتوجيهها"⁽¹¹⁶⁾، وهذا التعريف يغض النظر عن مراعاة المقتضى الشرعي الذي تنطلق وتتم به الخلافة .

يستعمل الندوي معنى السياسة موازياً للحكم كما يستعمله أحياناً موازياً للجباية عندما يقول أن ملوك المسلمين بعد الخلافة أسسوا دولهم على الجباية والسياسة وأهلوا الدعوة إلى الله⁽¹¹⁷⁾ وهذا ما يبين تفرقه بين معنى السياسة والخلافة، أو ما اصطلاح على تسميته الجباية والهداية، يقول: "إنما تقوم الحكومات في الأصل لتحكم بالحق والحكمة، ومن هناك كان اشتقاق اسمها، ولكن الحكومات تفرقت بها السبيل، فالكثير منها صارت للجباية... ولقد بعث الله بالإسلام محمداً صلوات الله عليه هادياً لا جانياً..."⁽¹¹⁸⁾، وهنا مرة أخرى نلاحظ اهتمام الندوي باستحداث ما يراه مناسباً من مصطلحات في ترجمة المعاني التي يراها أساسية ومحورية للمفاهيم التي يتناولها، آخذاً بعين الاعتبار الأهداف والغايات منها.

يرى الندوي أن الدولة الإسلامية منذ نشأتها إلى آخر الخلفاء الراشدين "عمر بن عبد العزيز" كانت دولة هداية "فكانت الدولة تخسر أموالاً عظيمة في سبيل الأخلاق والدين، وكانت إذا خُيرت بين أرواح الرجال ومبالغ من المال اختارت الأرواح"⁽¹¹⁹⁾ ويرى زوال الخلافة بعد ذلك فيقول أن: "ملوك المسلمين بعد الخلافة أسسوا دولهم على مبدأ الجباية وأهلوا الدعوة إلى الله والإسلام"⁽¹²⁰⁾ أي ضيعوا المقتضى الشرعي والمرجع الديني،

¹¹⁵ الندوي أبو الحسن، التفسير السياسي للإسلام، مرجع سابق، ص 136.

¹¹⁶ الحاج كميل، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، مكتبة لبنان ناشرون، 2000، ص 298.

¹¹⁷ الغوري عبد الماجد، من تراث الندوي، دمشق، دار ابن كثير، 1424هـ/2004م، 1/127.

¹¹⁸ المرجع نفسه، 1/118.

¹¹⁹ الغوري عبد الماجد، من تراث الندوي، مرجع سابق، 1/119.

¹²⁰ الندوي أبو الحسن، كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز وحزيرة العرب، 1423هـ/2002م. إعداد سيد عبد الماجد الغوري، دمشق - بيروت، ص 36.



وضيعوا الغاية من الخلافة وهي هداية الناس وإصلاحهم واهتموا بدل ذلك بالجانب المادي من الحياة.

يتناول الندوي قضية الحكم والسياسة في إطار التصور الإسلامي العام الذي يربطهما بمعنى الخلافة، ويرى أنها تتسم بالمرونة والتغير حسب ما تقتضيه الظروف، والتي تتضح من خلال قاعدتين اثنتين اعتمد عليهما الندوي هما:

1- ترتيب الأولويات والغايات:

يرى الندوي أن السياسة أو الحكم لا يجب أن يكون غاية⁽¹²¹⁾ في حد ذاته، وإنما يكون نتيجة للدعوة للإسلام والجهاد في سبيله وهذا ما أسماه بالجائزة⁽¹²²⁾، مبررا ذلك بأن "الذي يقصد الحكومة يتوانى، ويقعد إذا لم ينلها، أو انقطع أمله فيها، ويشغل بها عن الدعوة، ويطغى إذا نالها، وخطر على كل جماعة تتكون عقليتها بحب الحكومة، والسعي لها أن تقعد عن الجهاد في سبيل الدعوة، أو تنحرف أو تزيع في قصدها"⁽¹²³⁾ والندوي هنا لا يطرح فكرة طلب الحكومة كوسيلة قوية للإصلاح والتغيير، وهذا راجع ربما لكون الحياة عليها من الأمور الصعبة للغاية إن لم نقل المستحيلة، ولكن هذا لا يلغي - على الأقل نظريا- ما يمكنها تحقيقه من إصلاح، إلا أن الندوي يفضل طريق إصلاح الحاكم بدل تغييره، يقول: "إنني أفضل هذا الطريق، وقد اختاره عندنا الإمام أحمد بن عبد الأحد السرهندي... ولم تلق أي حركة أو دعوة ثورية أو إصلاحية-حسب علمنا- في العالم الإسلامي من النجاح ما لقيته دعوة الإمام السرهندي"⁽¹²⁴⁾ الذي تميزت مسيرته الإصلاحية بدعوة الملوك والأمراء والوزراء من أجل إصلاح معتقداتهم وتصوراتهم لكي يصلح الحكم

¹²¹ الندوي أبو الحسن، التفسير السياسي للإسلام، دار آفاق الغد، شبرا، مصر، ص 147.

¹²² الندوي أبو الحسن، كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز وجزيرة العرب، مرجع سابق، ص 35.

¹²³ الغوري عبد الماجد، من تراث الندوي، مرجع سابق، 2/ 167.

¹²⁴ الندوي أبو الحسن، في مسيرة الحياة، مرجع سابق، 23/2 - 24.



لاحقا⁽¹²⁵⁾ ولعل السبب الرئيسي الذي يهـم الندوي أن ما قام به السرهندي أعطى مثلاً في "الثورة الصامتة الهادئة التي لم تهرق فيها الدماء..."⁽¹²⁶⁾ وهذا مما يتجنبه الندوي ويخشاه في طلب الحكم، بالإضافة إلى خشيته من تضييع روح الرسالة الإسلامية، وهذا مما يدل على عدم اعتراضه التام في الوصول إلى الحكم، والدليل على ذلك ما يلي:

أولاً: إكبار الندوي لحركة محمد بن عرفان الشهيد الجهادية ضد الانجليز الذي تمكن من إقامة الحكم الإسلامي في الهند، ويظهر إعجاب الندوي الشديد بها عندما يصفها بأنها مماثلة للدعوة الإسلامية الأولى، وبأنها أقامت حكومة إسلامية على منهاج الخلافة الراشد⁽¹²⁷⁾، كما يقول بعد دراسة رسائل محمد بن عرفان وأفكاره بأنها "تدل دلالة واضحة على أن الباعث الأكبر الحقيقي على الجهاد والاجتهاد... هو شعوره الإسلامي بأن جزءاً كبيراً من الشريعة الإسلامية والقوانين الإلهية سيبقى معطلاً ملغى، بل يعود غير ممكن التطبيق والإجراء، إذا لم تكن حكومة تقف من ورائه، وتتولى تطبيقه وتنفيذه"⁽¹²⁸⁾ وهكذا يعتبر الندوي قضية تعطل تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية مبرراً كاف لإقامة حكومة إسلامية تتكفل بذلك.

ثانياً: قوله ناقداً لحركة الإخوان المسلمين ومرجعاً سبب فشلها إلى "طغيان"⁽¹²⁹⁾ الجانب السياسي العملي على رجالها"⁽¹³⁰⁾ وهذا الكلام يعني الاعتماد الأكبر على الجانب السياسي وترجيحه على غيره، ولهذا يفهم من هذه العبارة أن الندوي لا يعارض طلب الحكم على إطلاقه إذا لم يُرجَّح على ما سواه، أو إذا لم تُضَيَّع مطالب أخرى على حسابه، وهذا يدل على أنه يوافق على طلب الحكم إذا وضع في المرتبة المناسبة له بعد المطالب الأكثر أهمية كإصلاح الفرد.

¹²⁵ كانت نتيجة ذلك تحول حكم جهانكير إلى التعاليم الإسلامية، وقد تولى الحكم عام 1014هـ. انظر: الندوي أبو الحسن، رجال الفكر والدعوة، مرجع سابق، 285/3، بتصرف.

¹²⁶ الندوي أبو الحسن، رجال الفكر والدعوة، 269/3.

¹²⁷ الندوي أبو الحسن، رجال الفكر والدعوة، مرجع سابق، 291/4، بتصرف.

¹²⁸ الندوي أبو الحسن، التفسير السياسي للإسلام، مرجع سابق، ص 146.

¹²⁹ معنى كلمة طغى هنا تحمل معنى الاسراف والغلو، وتجاوز الأمر حدوده المعقولة.

¹³⁰ الندوي أبو الحسن، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ط. 2، لبنان، دار الندوة للتوزيع، 1388هـ/1968م، ط. 7، دار القلم، دمشق، 1420هـ-2000، ص 138.



ثالثاً: قوله: "وما زال فقهاء الإسلام وأولوا العزم من العلماء والمصلحين يرفعون راية الجهاد ويقودون الجيوش، ويذبلون ما عندهم من نفس ونفيس، في سبيل الجهاد وإقامة الحكم الإسلامي، وقد تغافل عنه العالم الإسلامي فأصبح اليوم ذليلاً مهاناً"⁽¹³¹⁾، ومن خلال هذا الحديث لا يبدو الندوي معترضاً على الوصول إلى الحكم الإسلامي في حال الذل والمهانة، ولا يبدو تعامله معه على أساس المكافأة أو الجائزة، ولا يخلو طلبه من المواجهة؛ لكن وبسبب ما عرف عن الندوي من مراعاة البيئة ومرونة الوسائل أنه يوافق على السعي إلى الحكم وطلبه لكن بتوفر شرطين اثنين:

الأول: إذا كانت الحكومة غير إسلامية مطلقاً، وهذا ما ينطبق على حركة محمد بن عرفان الشهيد التي أيدتها وأشاد بها.

الثاني: إذا كانت الحركة الإسلامية على درجة من القوة تؤهلها إلى سلك هذا الطريق، أي إذا استكملت قوتها وتكوينها على المستوى الإيماني والمادي يمكنها مواجهة السلطة في الوقت المناسب، وهذا ما يصر عليه الندوي أي عدم مجابهة الحكومات في الخطوة الأولى⁽¹³²⁾، أي مجابهتها في بداية نشأة الحركة ودون استكمال العناصر المشار إليها من قوة وتكوين، وهذا الكلام يدل على عدم رفض الندوي لمجابهتها في مراحل لاحقة.

بخصوص موضوع السياسة والحكم يقول القرضاوي: الشيخ لا ينبغي أن يحسب "من زمرة الذين يرفضون السعي إلى الحكم الإسلامي، أو ينكرون العمل السياسي بالمرّة فهذا ظلم يبيّن للشيخ، وإدراج له مع الذين يقولون: "لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة، وهو بالقطع بريء منهم"⁽¹³³⁾ وهذا اعتراف يضع الندوي في موضعه المناسب من الحكم والسياسة في التعامل معهما بما تقتضيه الضرورة والأولوية الإصلاحية.

¹³¹ الندوي أبو الحسن، التفسير السياسي للإسلام، مرجع سابق، ص 136.

¹³² الندوي أبو الحسن، في مسيرة الحياة، مرجع سابق، 3/ 30.

¹³³ القرضاوي يوسف، الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته، مرجع سابق، ص 121.

2 . خصائص الطريقة المتبعة:

يرى الندوي أن الوسيلة رهينة ظروف العصر⁽¹³⁴⁾، لذا يفضل عدم الصدام مع الحكومات، التي بلغ لديها "التخوف من الانتفاضة الإسلامية... حد الحساسية الزائدة،"⁽¹³⁵⁾... حتى وصل ذلك إلى المخافة من العمل ببعض التعاليم الإسلامية فردياً، والظهور بالمظهر الإسلامي،... وتمثيل الحياة الإسلامية والطرارز الإسلامي في بلد يحكمه المسلمون"⁽¹³⁶⁾ وفعلاً ما يزال العمل بتعاليم الدين فقط دون اللجوء إلى أي عمل سياسي مما يبرر توجيه الأحكام الظالمة للمسلمين، ولهذا يصبر الندوي على وجوب اتصاف الطريقة بالمرونة والايجابية في مختلف أساليب الإصلاح حتى لا ينتج تصادماً مع الحكومات فنضطر للتوقف عن العمل، ولهذا يرى أنه: "لا يجب أن تكون هذه الحركة سلبية محضة تشفع إلى مجابهة الحكومات والطاقت ذات القوى والإمكانات، وتحدث لها مشكلات وعراقيل في الخطوة الأولى"⁽¹³⁷⁾ أي أن الندوي ينادي بوجوب مراعاة الطرائق في كل الأعمال والحركات الإصلاحية بحيث تخلو من مظاهر التحدي مع النظام الحاكم، ويعترف بأن من أسباب شعور رجال الحكم بالتخوف من الحركات الدينية "هي تجربتهم، مع كثير من الحركات الدينية التي قامت لإصلاح العقائد والأعمال، والقضاء على الخرافات والأباطيل، والدعوة إلى الرجوع إلى الله، والإنابة إليه،... التي سرعان ما تحولت إلى أحزاب سياسية تتدخل في الأمور السياسية وتحاول الحصول على السلطة،"⁽¹³⁸⁾ فيرجع الندوي الصراع بين الحكومات والحركات الإصلاحية إلى تحول هذه الأخيرة عن أهدافها الغير سياسية إلى الاهتمام والتدخل

¹³⁴ هذا من مبررات إصلاح الحاكم بدل تغييره.

¹³⁵ يشير الندوي إلى ما يقوي ذلك من "مجهودات أمريكا في استهداف الإسلام واستحداث تسميات تضربه بها ومن أهمها الأصولية". انظر:

الندوي أبو الحسن، في مسيرة الحياة، ج3، مرجع سابق، ص236.

¹³⁶ الندوي أبو الحسن، في مسيرة الحياة، مرجع سابق، ج3، ص294.

¹³⁷ المرجع نفسه، 3/ 300 . الندوي يعترف بأن "المسؤولية في هذا التطور ترجع إلى دعر رجال الحكم، وحساسيتهم الزائدة، أكثر مما تعود إلى

الحركات الإسلامية وقادتها". انظر: المرجع نفسه، 3/ 301.

¹³⁸ المرجع نفسه، 3/ 298-299.



في الحكم، الشيء الذي جعل الحكومات تهاب كل الحركات مهما كانت غاياتها، وكأن الحكومات حسب الكاتب أصيبت بعقدة نفسية تجاه كل ما هو ديني لأنه يصبح سياسيا ينافسها ويهدد وجودها باسم الدين، وهذا الكلام لا يخلو من الصحة، لكن يمكن أن يصير مبررا سهلا لبعض الحكومات لتتصدى به لأي حركة إصلاحية غير سياسية، فقط من أجل الوقوف في وجه الإصلاح الديني لأن الدين بشموله يقدم الوعي في مختلف المجالات حتى السياسية من جهة، وللإبقاء على التصور العلماني في ظل العولمة الذي يخدم بعض الحكومات أكثر من الفكر الديني من جهة أخرى.

من خلال هذا التصور يبدو أن الندوي لا يلغي الاهتمام السياسي على إطلاقه بقدر ما يلغي طوقه المباشرة وغير الناضجة أي المتسرفة، وإلا فما المبرر لقوله: "العالم الإسلامي حائر بين شعوب مسلمة بسيطة في عقليتها ودينها وحكومات داهية لم تنشرح صدور رجالها لهذا الدين ولم تطاوعهم نفوسهم على العمل به ولكنهم يصرون على أن يحكموا هذه الشعوب التي تؤمن بهذا الدين، ولا يرون حياتهم وشرفهم إلا في البقاء في الحكومة، ولا يرون لهم محلا في الحياة إلا الزعامة والحكومة، ولا موضعا في العالم إلا المجتمع الإسلامي الذي ولدوا ونشأوا فيه، فالشعوب في تعب منهم وهم منها في بلاء وعناء"⁽¹³⁹⁾ فالندوي يحكم على الحكومات في كل الدول العربية تقريبا بأنها عسكرية دكتاتورية ويصفها بأنها عصابات لحزب واحد ووجهة نظر واحدة.⁽¹⁴⁰⁾ وربما لهذا يرى أن من الخطر الكبير الدخول في مواجهة معها لما قد يتسبب في الإفساد أكثر مما يتسبب في الإصلاح.

¹³⁹ الندوي أبو الحسن، منذ خمسين عاما أريد أن أتحدث إلى الإخوان، مرجع سابق، ص 2.

¹⁴⁰ الندوي أبو الحسن، كارثة العالم العربي وأسبابها الحقيقية، رابطة العالم الإسلامي، الأمانة العامة، مكة المكرمة، ص 16-17.

يفضل الندوي - بسبب هذه الفجوة الكبيرة بين الحاكم وبين شعبه - الدعوة الهادئة، ولهذا فالبديل الذي يقدمه هو إيصال الإيمان إلى كرسي الحكم بدل وصول المؤمن إلى كرسي الحكم⁽¹⁴¹⁾، وهو متأثر هنا بفكرة السرهندي في الإصلاح التي يصفها بأنه لا مثيل لها، إلا أن الوصول إلى الحاكم وحاشيته صعب التحقق، كما أن معرفة من سيعتلي كرسي الحكم من جهة أخرى صعب، ويؤيد هذا الكلام اعتراف الندوي بهذه الصعوبات في حديثه عن حاشية السلطان و"حوّولهم بين الحاكم وبين كل رجل متدين مخلص"⁽¹⁴²⁾، وهذا الاعتراف يضعف رأي الندوي في إصلاح الحاكم لما يحيط بها من ظروف معقدة.⁽¹⁴³⁾

في الأخير نورد قول الندوي: "إن الخارطة السياسية تتبدل في ظرف ساعات، ولكن الخارطة الثقافية تدوم قرونا، بل آلاف من السنين، والخارطة المعنوية، والخارطة الخلقية المبدئية هي التي تدوم آلاف السنين، وهي التي تصنع السياسة، ليست السياسة هي التي تصنع العقيدة، بل العقيدة هي التي تصنع السياسة"⁽¹⁴⁴⁾ يلاحظ باختصار أن الندوي يعتبر الإصلاح والسياسة هي مراعاة أولوية الغاية الثابتة التي تحقق باقي المقاصد المتغيرة الظروف، والتي تقوم على الحكمة والاختيار الذكي للطريقة من أجل عدم تضييع غاية الإصلاح.

المطلب الثاني: تحليل ومناقشة أفكار الندوي ومنهجه في الإصلاح:

من الناحية الشكلية يلاحظ:

- استعمال الندوي بعض المفردات الغربية، مثل الختل⁽¹⁴⁵⁾ والإبالة⁽¹⁴⁶⁾، وهي من المفردات النادرة الاستعمال لدى مفكري الإسلام.

¹⁴¹ الندوي أبو الحسن، في مسيرة الحياة، مرجع سابق، 3/ 299، بتصرف.

¹⁴² الندوي أبو الحسن، رجال الفكر والدعوة، مرجع سابق، 3/ 270.

¹⁴³ مع عدم إلغاء صلاحيتها في حالات استثنائية.

¹⁴⁴ الندوي أبو الحسن، أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين، ط3، مؤسسة الإسراء للنشر والتوزيع قسنطينة، ص. 43.

¹⁴⁵ الندوي أبو الحسن، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟، مرجع سابق، ص. 86.

¹⁴⁶ المرجع نفسه، ص. 81.



- شرح بعض المفردات المتداولة أحيانا، مثل كلمة حضيض⁽¹⁴⁷⁾ والجشع⁽¹⁴⁸⁾ وهذا مما يدل على أصله غير العربي، رغم أنه لا ينقص من تمكنه الكبير من اللغة العربية.
- غياب الإشارات أو الترقيم في جميع فصول الكتاب التي بإمكانها تسهيل التفريق بين العناوين الرئيسية والفرعية، فمثلا في الباب الأول: الفصل الأول: نجد عنوانا رئيسيا: إيران والحركات الهدامة، والعناوين الفرعية: تقديس الأكاسرة، التفاوت بين الطبقات، تمجيد القومية الفارسية... مكتوبة بنفس اللون والخط وبدون أي إشارات أو ترقيم⁽¹⁴⁹⁾، كما يمكن ملاحظة العنوان الرئيسي للفصل: نظرة في الأديان والأمم، والعناوين الفرعية: المسيحية في القرن السادس المسيحي، الحرب الأهلية في الدول الرومية، الصين، العرب...⁽¹⁵⁰⁾ والتي تتميز بنفس ما ذكر أعلاه.
- انعدام تسلسل موضوعي⁽¹⁵¹⁾، وهذا ربما راجع لإتباع التسلسل التاريخي في نص حديثه.
- ذكر على مستوى العناوين أوروبا والأوربيين متحدثا عن العالم الغربي، دون ذكر أمريكا إلا أحيانا، ولا نجد تفسيراً لذلك إلا في الفصل الأول من الباب الخامس، حينما يقول أن أوروبا بالمعنى الواسع: تشمل بريطانيا وأمريكا وروسيا ومن كان على شاكلتها من الأمم الآسيوية والشرقية التي تفوقها المادية والجاهلية⁽¹⁵²⁾

¹⁴⁷ الندوي أبو الحسن، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟، مرجع سابق، ص 82.

¹⁴⁸ المرجع نفسه، ص 86 .

¹⁴⁹ ص 88-95.

¹⁵⁰ ص 77-105

¹⁵¹ مثلا في الفصل الثاني والأول من الباب الرابع أثناء حديثه مرة عن العرب وأخرى عن الأوربيين.

¹⁵² الندوي أبو الحسن، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ مرجع سابق، ص 357.



أما من حيث المحتوى نخلص لما يلي:

✓ بالنسبة للمقدمة فاحتوت المقدمة صفحتين ونصف، مضمون الصفحتين عبارة على نص يُعرّف بحالة المسلمين في مرحلة الانحطاط التي تميّزت بتخلفهم في جميع المجالات، وأدت إلى زوال دولتهم وبالتالي عجزهم عن حمل الرسالة الإسلامية، مع توضيح أن مشكل الانحطاط لا يخص شعباً أو أمة، بل هو متعلق بانحطاط في أداء الرسالة الإسلامية وانحيار نظام الدين والدولة.

الإشكالية طرحت في نصف الصفحة الباقي تمثلت في ستة أسئلة الهدف منها بلوغ الحقيقة المتمثلة في:

- وعي الشعوب الأخرى⁽¹⁵³⁾ بانحطاط المسلمين، وتأثر العالم والتعرف على خسارته جراء هذا الانحطاط وتحديد موضع الخسارة.
 - تحديد حالة الأمم بعد أن أسست الدول الأخرى دولة واسعة على أنقاض الدولة الإسلامية، مع ذكر آثار هذا التحول في قيادة الأمم وزعامة العالم في الدين والأخلاق والسياسة العامة وفي مصير الإنسانية.
 - تصور حال المسلمين في حالة نهوض العالم الإسلامي، وأخذه بزمام الأمور.
- الترجم الندوي بالقواعد المنهجية في كتابة مقدمته حيث تطرق إلى توضيح الجزء الأول من عنوان الكتاب وهو انحطاط المسلمين، وخصص الجزء الثاني لطرح الإشكالية المتعلقة بالجزء الباقي من العنوان: ماذا خسر العالم؟

✓ دلالة العنوان: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟

أولاً: يلاحظ أن العنوان عبارة عن سؤال، يطرح في حد ذاته العديد من القضايا والإشكاليات: - وما عسى العالم يخسر بانحطاط المسلمين؟ وهل للمسلمين أثر أو دور يخسر العالم بتأثره شيء؟

¹⁵³ الأوروبية.



وهل العالم وما وصل إليه من رقي وتدرج على سلم الحضارة خسر فعلا بانحطاط المسلمين؟ وأخيرا أليس الأولى التفكير فيما خسره المسلمون جراء انحطاطهم على الأقل قبل الحديث عن خسارة غيرهم؟

ثانيا: يتكون العنوان من مفهومين هما: خسران العالم، وانحطاط المسلمين. خسر لغة ضل⁽¹⁵⁴⁾. أما اصطلاحا: فمن معاني الخسران هو الضلال والضياع وهو شعور المرء بعدم وجود معين أو هاد يرشده إلى غايته وينقذه من الشقاء.⁽¹⁵⁵⁾ انحطاط كلمة مشتقة من فعل حط ومنه انحط، "ويقال الهبوط"⁽¹⁵⁶⁾ فهو بمعنى التراجع والضعف بعد القوة.

ثالثا: أهم المؤلفات التي تشبه عنوان: "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟" على مستوى عناوينها هي: "سر تأخر العرب والمسلمين"⁽¹⁵⁷⁾ للدكتور محمد الغزالي، و"لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟"⁽¹⁵⁸⁾ لشكيب أرسلان، والشبه بين هذه الكتب ليس قائما على مستوى العنوان فقط بل تشترك عموما في نوعية المباحث التي فككت الإشكالية المركزية إضافة إلى الحلول المقترحة.

¹⁵⁴ ابن منظور، لسان العرب، ط.3، دار الفكر - دار صادر، 1414هـ/1994م، مج 4 / 238.

¹⁵⁵ صليبا جميل، الموسوعة الفلسفية، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1982م، 1/528، بتصرف.

¹⁵⁶ ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، 7/ 274

¹⁵⁷ يتناول هذا الكتاب أسباب تدهور العالم الإسلامي ويقدم الحلول للنهوض به، وذلك بأسلوب غلبت عليه العاطفة الإيمانية .

¹⁵⁸ يتناول هذا الكتاب أسباب تقهقر المسلمين والتي تعتبر أهمها تضييع سبب قوة المسلمين في السابق وهو الرسالة الإسلامية التي لا يمكنهم النهوض ثانية بدونها.



✓ الندوي من خلال فكرة اتصال سلسلة الإصلاح، يبرهن على قوة الدين الإسلامي وبالتالي اعتباره الحل الوحيد لثبات الأمة الإسلامية على نهجها، مما يظهر ذكاء الندوي في الرؤية الفاحصة لمختلف جوانب الموضوع، والاستدلال العلمي في تدعيم آرائه وتصورات، ومما يقوي هذا الرأي إجراؤه لمقارنة بين الديانتين المسيحية والإسلام بخصوص موضوع الإصلاح ليُظهر خصوصيته المرتبطة بالإسلام ويبرهن على حيوية هذا الدين، وينقلنا من مجرد الحديث عن الإصلاح إلى الحديث عن أهلية الإسلام للإصلاح دون سواء بأدلة ميدانية عملية.

يُستنتج أن الندوي يجعل من "اتصال تاريخ الإصلاح" مثلاً ودعماً تاريخياً لتحقيق الإصلاح و استمراره.

✓ طرح فكرة العبقري التي تبدو مثالية وبعيدة عن الواقع الإنساني، حيث يتجاوز العبقري عنده الفرد ويصل إلى الجماعة أو الدولة بأسرها، على الأقل من أجل التمكين لكثير من الخصائص المذكورة؛ وهذا لا يعني التقليل من قيمة هذه المميزات، إنما يبقى الجمع بينها كلها في شخص واحد تخرج عن حدود الفرد العادي -إلا الرسل والأنبياء- وعلى الرغم من ذلك فهي تطرح مجموعة ثرية على مستوى الكم والنوع، وإن تعذر استكمالها لم يكن ليمتنع الاستفادة من بعضها.

✓ فكرة ابتعاث الأمة لا تخلو من الحقيقة المتمثلة في المسؤولية الملقاة على عاتق الجماعة حمل الرسالة الإسلامية، والندوي بتركيزه عليها واهتمامه بها، يريد أن يجعل مسؤولية الإصلاح تتوزع على جميع الأفراد ضمن إطار الأمة التي بدونها لا يمكن لأي عبقري أن يتفوق، ولهذا يمكن اعتبارها مكملة لفكرة العبقري.

تشبه شروط ابتعاث الأمة خصائص العبقري المطروحة سابقاً، وتركز على البناء الروحي والنفسي والدعوي التوعوي نظرياً وتطبيقياً.

✓ دعوة الندوي للنظر للغرب كقرين فقط ليس بالأمر السهل ولا الواقعي، فتفوق الغرب المادي يصنع فارقاً كبيراً يمنع من التساوي معه، أما الحديث عن احتياجه لنا روحياً فهو احتياج للرسالة الإسلامية أما نحن -المسلمين- فلقد افتقدنا الأمرين القوة المادية والروحية، ولهذا فالنظرة للغرب لا بد أن تأخذ في اعتبارها الأمرين معا حتى تتمكن من بناء قوتها الذاتية على أساسهما، فيتحقق فيها الخشية والرجاء.



بالفعل ومن الطبيعي أن يكون للطبقة المثقفة المتقلدة لأعلى وأهم المسؤوليات في الأمة أقوى أثر، ولهذا ينادي الندوي بتوجيهها والعناية بإصلاحها حتى لا تبقى من أهم أسباب الإفساد من جهة، ومن أهم عوامل عرقلة حركة التغيير الإيجابي من جهة أخرى.

أخيرا الأفكار الثلاث المتمثلة في اتصال تاريخ الإصلاح والتجديد وبرهنته على صلاحية الدين الإسلامي وبالتالي احتياج المسلم له، وفكرة العبقرية التي تبين ضرورة المسؤولية الفردية في القيادة والتوجيه، بالإضافة إلى فكرة ابتعاث الأمة التي تُكلف أفرادا ومجموعات في حمل الرسالة "العالمية"، هذا كله يعكس رؤية الندوي في وجوب تحمل مسؤولية الإصلاح أفرادا وجماعات على مر الزمن، فالعمل الإصلاحي يكون فرديا على مستوى القيادة، وجماعيا على مستوى الشعب، وهذا على مر التاريخ.

المطلب الثالث: الإستنتاجات المستخلصة من قراءة ومناقشة أفكار الندوي:

تتمثل الاستنتاجات في الحكم على مدى إجابة الندوي على الإشكالية المطروحة في كتابه "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟" أجاب الندوي على ما طرحته الإشكالية في مقدمة كتابه: "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟" بأسلوبين:

الأول كان ضمنيا، أي لا يتضح بشكل مباشر، وهذا فيما يتعلق بالجزء الأول من الإشكالية وهو: مدى وعي الشعوب الأخرى -أي الغربية- بانحطاط المسلمين، فلم يخصص له الندوي عنوانا محددا للحديث عنه، لكن معناه يفهم من خلال حديثه عن التعامل الاستعماري للعالم الغربي مع المشرق الإسلامي⁽¹⁵⁹⁾، الذي يدل على وعي هذه الشعوب الغربية بانحطاط المسلمين، لكن لا يمكن اعتبار وعيهم شاملا لجانب الانحطاط الروحي أيضا، بل الوعي بانحطاطهم في الجانب المادي الذي كان واضحا سواء في ذاته أو في تصور الغرب المادي، ولهذا يمكن اعتبار الإجابة قد تمت على هذا الجزء من الإشكالية وإن كانت جزئية، لأنه يبقى مفهوم الوعي الذي قصده الكاتب غير محدد أو قد يقصد به الوعي الشامل، لكن باعتبار كلمة "انحطاط" على عموم لفظها ومعناها أي

¹⁵⁹ يظهر هذا في الباب الرابع من الكتاب محل الدراسة.



دون تحديد نوع الانحطاط، يمكن القول بأن وعي الغرب كان تاماً وأكيدا بانحطاط المسلمين، وقد يتعدى هذا الوعي إلى تصور الغرب وقناعته بفقدان العالم الإسلامي القدرة كلياً على النهوض من جديد.

الأسلوب الثاني مباشر: وهذا يتناول باقي أجزاء الإشكالية، وهي: مدى تأثير العالم أو خسارته جراء هذا الانحطاط، وتحديد موضع الخسارة وهذا في الباب الرابع عامة، في حين تناول الفصلان الثالث والرابع من نفس الباب الإجابة على مدى تأثير العالم أو خسارته بهذا الانحطاط، بالإضافة إلى تحديد حالة الأمم بعد أن أسست الدول الأخرى⁽¹⁶⁰⁾ دولة واسعة على أنقاض الدولة الإسلامية، وذكر آثار هذا التحول في قيادة الأمم وزعامة العالم في الدين والأخلاق والسياسة العامة وفي مصير الإنسانية.

أما الباب الخامس فقد تناول الإجابة عن تصور حال المسلمين في حالة نخوض العالم الإسلامي، وأخذه بزمام الأمور.

وعليه نستخلص أن أبواب الكتاب الثلاثة الأولى لم تكن وظيفتها حل الإشكالية التي طرحها الندوي، بل وظيفتها تقديم الأسباب التي دفعت بالكاتب لتأليف كتابه؛ كما نستخلص أن الإجابة على السؤال المطروح في عنوان الكتاب "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟" تتمثل خاصة في أن العالم خسر الجانب الوجداني والروحي، الذي تبدو آثاره في مختلف جوانب الحياة كبيرة، لكن حسب اعتقادي تبقى خسارة المسلمين أكبر لأنها شملت كلا الجانبين الروحي والمادي، والندوي في هذا الكتاب يقدم حلولاً لتحقيق نخوض العالم الإسلامي من جديد والعالم العربي بالخصوص باعتباره الأمة الأكثر تأهلاً في حمل الرسالة سواء في بدايتها أو في إعادة تحمل أعبائها، ويقدم هذا الكتاب حلاً إصلاحياً نفسياً قوياً بعرض مبررات واقعية علمية لزوال الشعور بالدونية وبالنقص بإزاء الغرب، لكنه لا يكفي وحده كحل جذري إن لم نسعى بشتى الوسائل وبتظافر كل الجهود الفكرية وتطبيقها ميدانياً من أجل تحقيق الإصلاحات في شتى المجالات الأخرى.



الخاتمة:

- 1- إن كتاب الندوي "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟" يمثل عرضاً لأزمة العالم من منظور إسلامي ويبرز فيه قوة تأثير الجانب الروحي الإيماني الذي يمثل القوة الأولى المحركة للإصلاح، سواء على مستوى الأمة الإسلامية أو العالم بأسره.
 - 2- كان غرض الندوي من هذا الكتاب عرضاً دقيقاً لأزمة العالم وإبراز قيمة الجانب الروحي للانطلاق في عملية الإصلاح الشامل لكل جوانب الحياة.
 - 3- ركز الندوي على العالم العربي في تحمل مسؤولية الإشراف على عملية الإصلاح.
 - 4- أجاب الندوي على أهم إشكالية يطرحها في كتابه: "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟" وهي خسارة العالم للجانب الروحي الإيماني جراء ضعف العالم الإسلامي والعربي خصوصاً، وقدّم خطة لتحقيق نهضته.
 - 5- يمكن استحداث عنوان أكثر تعبيراً عن مضمون كتاب الندوي وهو التالي: "كيف يعود المسلمون لقيادة العالم؟"
- وعليه يمكن اقتراح قراءة جادة تحليلية وتطبيقية للإصلاح عند الندوي خاصة في مجالي الدعوة والتربية وذلك مما قد يتحمله المجتمع المدني أساساً ويسهر على تفعيله مع المحافظة الجادة على الروح الإيمانية التي نفخها الندوي وبثها في كل منهجه الإصلاحية بأنواعه، خاصة المرونة والابتكار في الوسائل الإصلاحية.



قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، تحقيق درويش الجويدي المكتبة العصرية صيدا- بيروت، ط1، 1997م، ص 178.
2. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ/1994م، مج2/ 517.
3. أبو الحسن الندوي، في مسيرة الحياة، ج1، دمشق، دار القلم، 1990م، ص57.
4. الأزهري عبد السلام سعيد، الإمام أبو الحسن الندوي ومنهجه في الفكر والدعوة والإصلاح، دار الفكر، دمشق، 2007م، ص 31-32.
5. تركي عبد مجيد السلماي، الفكر والسلوك السياسي عند أبي الحسن الندوي، دمشق، دار القلم، 2004 م، ص 34.
6. البخاري، صحيح البخاري، باب صب الماء على البول في المسجد، الريا، ط2، دار السلام، الريا، 1419هـ-1999م، ص41.
7. البعلبكي منير، معجم أعلام المورد، بيروت، دار العلم، 1992م، ص 121.
8. البنا حسن، مذكرات الدعوة والداعية، دار التراث الإسلامي، شركة الشهاب، بאתة، ص 72.
9. البهي محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ط7مزيدة ومنقحة، دار الفكر، 1991، ص 421.
10. الحاج كميل، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، مكتبة لبنان ناشرون، 2000، ص 298.
11. صليبا جميل، الموسوعة الفلسفية، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1982م، 1/ 528.
12. الطالبي عمار، ابن باديس حياته وآثاره، ط2، بيروت، 1403هـ/1983م، 1 / 100.
13. عمارة محمد، الوسيط في المذاهب والمصطلحات الإسلامية، ط2، مصر، نخضة مصر للنشر والتوزيع، 2005م، ص 184.
14. الغوري عبد الماجد، من تراث الندوي، دمشق، دار ابن كثير، 1424هـ/2004م، 1/ 127.
15. الندوي أبو الحسن، أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين، ط3، قسنطينة، مؤسسة الإسراء للنشر والتوزيع، ص 26.
16. الندوي أبو الحسن، التفسير السياسي للإسلام، دار آفاق الغد، شبرا، مصر، ص 147.
17. الندوي أبو الحسن، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ط2، لبنان، دار الندوة للتوزيع، 1388هـ/1968م، ط7، دار القلم، دمشق، 1420هـ-2000، ص 138.
18. الندوي أبو الحسن، المد والجزر في تاريخ الإسلام، دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت، 1419هـ-1998م، ص 10.
19. الندوي أبو الحسن، حاجة البشرية إلى معرفة صحيحة ومجتمع إسلامي، دمشق، دار ابن كثير، 2002/1423، ص 52.
20. الندوي أبو الحسن، رجال الفكر والدعوة، الكويت، دار القلم، الكويت، 1985م، 1/ 13.



21. الندوي أبو الحسن، كارثة العالم العربي وأسبابها الحقيقية، رابطة العالم الإسلامي، الأمانة العامة، مكة المكرمة، ص16-17.
22. الندوي أبو الحسن، كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز وحزيرة العرب، 1423هـ/2002م. إعداد سيد عبد الماجد الغوري، دمشق - بيروت، ص36.
23. الندوي أبو الحسن، نحو تربية إسلامية حرة، مؤسسة الإسراء للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط4، 1402هـ-1982م، ص42.
24. الندوي أبو الحسن، نصائح وتوجيهات للشباب المسلم، دار ابن كثير، إعداد وترتيب الغوري عبد الماجد، دمشق-بيروت، 1420هـ، 1999م، ص65-66.
25. الندوي أبو الحسن، السيرة النبوية، تحقيق وتعليق سيد عبد الماجد الغوري، دمشق، دار ابن كثير، ط3، ص35.
26. يحدثونك عن أبي الحسن الندوي، بقلم علماء العصر وأدبائه، إعداد وتقسّم: د. محسن العثماني الندوي، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 2000م، ص42.
27. مجلة الداعي، تصدر عن الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند، الهند، عدد ممتاز عن سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي ذوالقعدة-ذو الحجة 1420هـ. بالإضافة إلى مجلة الأدب الإسلامي.
28. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت، س.15، ع. 40 - ذو القعدة 1420هـ/ مارس 2000م.
29. مجلة فصلية تصدر عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية، المملكة العربية السعودية، ع. 26-27، مج7، 1421هـ، عدد توثيقي خاص عن: سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي.